رايات العز

وَلْنَنشُرُوا رَايَاتِ عِزِّي بَعْدَمَا طَلَعَ النَّهَارُ وَنَنْشُرُوا أَعْلَامِي

صحيفة التصوف الإسلامي الدولية

السنة الخامسة (العدد 48) ذو الحجة 1426 هـ - فبراير 2006م

12 صفحة

السعر 100 دينار

يا أيها الناس حج البيت للساري

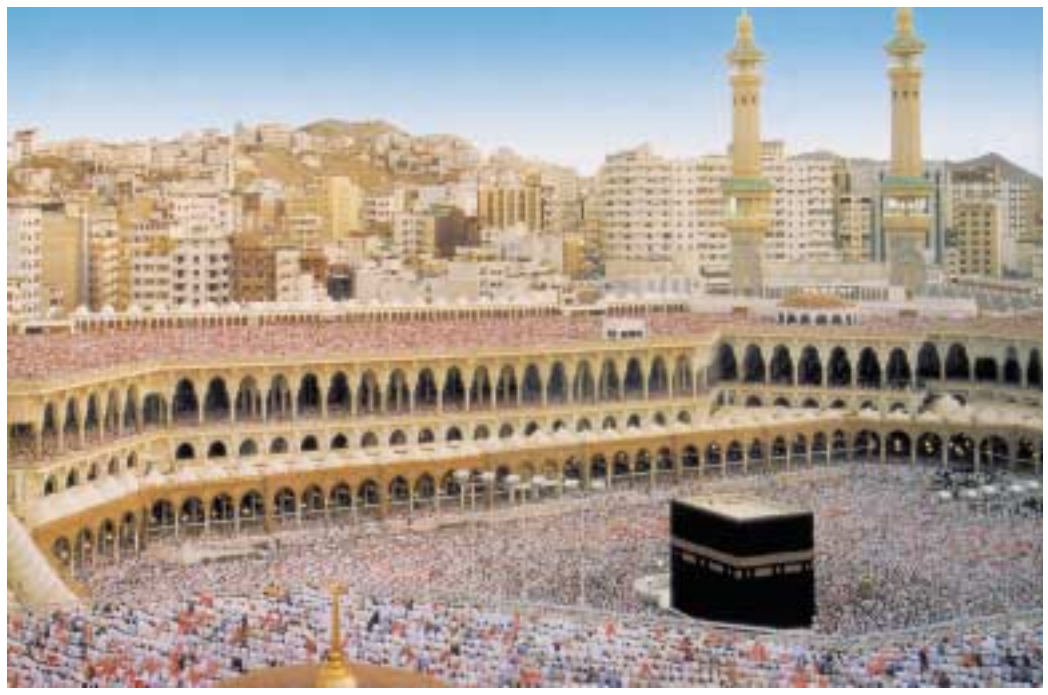

روى الترمذي في الشمائل وابن ماجه عن أنس قال: حج النبي صلى الله عليه وسلم على رحل رث وقطيفة خلقة تساوي أربعة دراهم أو لا تساوي ثم قال: اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة، والقطيفة: كساء بال له خمل، وروى البخاري أن أنساً رضي الله عنه حج على رحل ولم يكن شحيحا وحدَّث: أن النبي صلى الله عليه وسلم حج على رحل وكانت زاملة، وروى ابن خزيمة في صحيحه عن قدامة بن عبدالله قال: رأيت رسول الله صلى الله وسلم يرمي الجمرة يوم النحر على ناقة صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك، وروى ابن ماجه بإسناد صحيح وابن خزيمة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بوادي الأزرق بين مكة والمدينة فقال: كأني أنظر إلى موسى عليه الصلاة والسلام واضعاً أصبعه في أذنه له جوَارٌ إلى الله تعالى بالتلبية مارا بهذا الوادي وقال ابن عباس فَسِرْنا حتى أتينا على ثنية هرشى فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيُّ ثنية هذه؟ قالوا ثنية هرشى أو لِفْتٍ قال: كأني أنظر إلى يونس صلى الله عليه وسلم على ناقة حمراء عليه جبة صوف وخِطامُ ناقته خُلْبَةٌ ماراً بهذا الوادي ملبياً وثنية هرشى: قريبة من الجحفة، ولفت بكسر اللام وفتحها، هي ثنية جبل قديد بين مكة والمدينة. والخلبة: هو الليف، وروى الطبراني وإسناده حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: في مسجد الخَيْفِ سبعون نبيا منهم موسى عليه الصلاة والسلام كأني أنظر إليه وعليه عباءتان قُطْوانيتان وهو مُحرم على بعير من إبل شَنُوءَةَ مخطومٍ بخطام ليف له ضفيرتان، وروى الإمام أحمد والبيهقي عن ابن عباس قال: كان لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بوادي عُسْفانَ حين حج قال: لقد مر به هودٌ وصالح على بكرات خَطمها الليف أزرهما العباء وأرديتهم النَّمارُ يحجون البيت العتيق، وعسفان: موضع على مرحلتين من مكة والبكرات: جمع بكرة بسكون الكاف وهي الفتية من الإبل. والنَّمار: جمع نمرة، وهو كساء مخطط، وروى الطبراني: أن موسى عليه الصلاة والسلام حج على ثور أحمر وعليه عباءة قُطوانية، وروى أبو يعلى والطبراني: لقد مر بالرَّوحاءِ سبعون نبياً منهم نبي الله موسى حفاة عليهم العباءة يؤُمُّون بيت الله العتيق، وروى ابن ماجه بإسناد حسن: أن رجلا قال يا رسول الله من الحاج؟ قال الشَّعِثُ التَّفِلُ قال: فأي الحج أفضل؟ قال: العجُّ والثَّجّ قال: وما السبيل؟ قال الزَّادُ والراحلة وفي رواية: قال فما يوجب الحج؟ فقال الزاد والراحلة رواه ابن ماجه بإسناد حسن، والتفل: بفتح التاء وكسر الفاء، هو الذي ترك الطيب والتنظيف حتى تغيرت رائحته والعج: هو رفع الصوت بالتلبية أو التكبير والثج: هو نحر البدن، وفي حديث أحمد وابن حبان في وقوف الناس بعرفة إن الله تعالى يهبط إلى سماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة، ويقول عبادي جاءوني شُعثا غبرا، والشعث من الناس هو البعيد العهد بتسريح شعره وغسله، نسوق هذه الأحاديث لتهنئة الحجاج بالعودة من بيت الله الحرام وزيارة الروضة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

كان جبريل يأتي على صورته

سيدنا دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف الكلبي صحابي مشهور أول مشاهده الخندق وقيل أحد ولم يشهد بدرا وكان يضرب به المثل في حسن الصورة وكان جبرائيل عليه السلام ينزل على صورته جاء ذلك من حديث أم سلمة ومن حديث عائشة وروى النسائي بإسناد صحيح عن يحيى بن معمر عن بن عمر رضي الله عنه كان جبرائيل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وروى الطبراني من حديث عفير بن معدان عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان جبرائيل يأتيني على صورة دحية الكلبي وكان دحية رجلا جميلا وروى العجلي في تاريخه عن عوانة بن الحكم قال أجمل الناس من كان جبرائيل ينزل على صورته قال بن قتيبة في غريب الحديث فأما حديث بن عباس كان دحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر إلا خرجت تنظر إليه فالمعنى بالمعصر العاتق وقال بن البرقي له حديثان عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت يجتمع لنا عنه نحو الستة وهو رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر فلقيه بحمص أول سنة سبع أو آخر سنة ست وقد روى الترمذي من حديث المغيرة أن دحية أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم خفين فلبسهما وعند أبي داود من طريق خالد بن يزيد بن معاوية عن دحية قال أهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم قباطي فأعطاني منها قبطية وقال بن سعد أخبرنا وكيع حدثنا بن عيينة عن بن أبي نجيح عن مجاهد قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية سرية وحده وقد شهد دحية اليرموك وكان على كردوس وقد نزل دمشق وسكن المزة وعاش إلى خلافة معاوية وحول مقامه تجمع أحباب رسول الله لتجديد الكسوة للمقام في احتفالية رائعة بأنغام المديح والذكر ولله در أحباب الشام.

سيدي بن بشيش شيخ المشايخ

قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في طبقات الأولياء: علي أبو الحسن الشاذلي السيد الشريف من ذرية محمد بن الحسن زعيم الطائفة الشاذلية نسبة إلى شاذلة قرية بأفريقية نشأ ببلده فاشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها وصار يناظر عليها مع كونه ضريراً ثم سلك منهاج التصوف وجد واجتهد حتى ظهر صلاحه وخيره وطار في فضاء الفضائل طيره وحمد في طريق القوم سراه وسيره نظم فرقق ولطف وتكلم على الناس فقرط الأسماع وشنف وطاف وجال ولقي الرجال وقدم إلى اسكندرية من المغرب وصار يلازم ثغرها من الفجر إلى المغرب وينتفع الناس بحديثه الحسن وكلامه المطرب وتحول إلى الديار المصرية وأظهر فيها طريقته المرضية ونشر سيرته السرية وله أحزاب محفوظة وأحوال بعين العناية ملحوظة قيل له من شيخك فقال: سيدي عبد السلام بن بشيش ومن المعروف أن سيدي ابراهيم الدسوقي قد تسلم أمانته من سيدي أبو الحسن الشاذلي ولذا كان سيدي فخر الدين رضي الله عنه عندما يتحدث عن سيدي عبد السلام بن بشيش يقل شيخ المشايخ، وقد كانت رايات العز في زيارة هذا المقام العجيب الذي لاسقف له إلا هذه الشجرة التي لايدري أحد كم عمرها.

مائة عام من الذكر والصلاة على الحبيب

إن إنفاق الوقت في الله هو أعلى درجات الإنفاق والجهاد في سبيل الله والجهاد في الله فإن الوقت عند الناس إنما للسعي للرزق وكنز الأموال ولكننا أمام رجل هو سليل البيوتات العريقة نسبا وحسبا فهو بن الأستاذ عبد المحمود صاحب طابت عبد المحمود من سكان الجزيرة العريقة في التصوف وقد تخطى المائة عام من العمر وقد سماه الأستاذ عند ولادته (إبراهيم الدسوقي) تبركا بالقطب الشهير سيدي إبراهيم الدسوقي ساكن دسوق وصاحب الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية وقد بدأ أوراده من الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم منذ نعومة أظفاره وما زالت الذاكرة (ماشاء الله) قوية يعي مايقول كما يعي أحواله وأذكاره وتسبيحاته وهو عتيق الله في أرضه كما أخبر حديث الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يتكل فمازالت مسبحته لاتفارق يده إلا لرقبته حينما يريد قضاء أمرا دنويا، فما أجمل الدنيا وطولها إذا كانت في خدمة الآخرة.

اقرأ داخل العدد

أسبقية نوره (ص).....2

الرياء..... 3

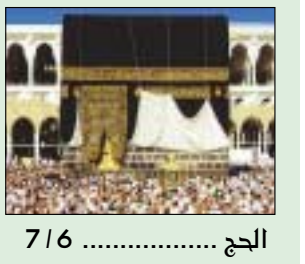
الحج 7/6

نفحات من حديث الإمام... 9

أسبقية نوره صلى الله عليه وسلم

«والفجر* وليال عشر* والشفع والوتر* والليل إذا يسر* هل فى ذلك قسم لذى حجر» يرى بعض المفسرين أن المقصود بالليالى العشر فى هذه السورة أول عشرة أيام من ذى الحجة وأن الفجر هو انفلاق الصبح المعروف عند الناس. ولعدم وجود أية إشارة فى هذه الآيات لأى يوم أو نهار بل هى ليل صرف بعد ليل، وفى كتاب الله تعالى نجد الليالى دائما وأبدا مقرونة بالأيام لقوله سبحانه «سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما» وفى الحديث والأحكام كقوله صلى الله عليه وسلم فيما معناه (فرض على خمسون صلاة فى اليوم والليلة).

ولذلك يرى كبار المفسرين أهل البصائر أن الفجر هو حالة قبضة نور النبى صلى الله عليه وسلم والليالى العشر هى الحجب العشرة التى تنقل فيها نور النبى صلى الله عليه وسلم وهى حجب الجلال، فكان نور النبى صلى الله عليه وسلم يتنقل فى هذه الحجب العشرة من مرتبة إلى مرتبة، وهى المسماة عند ساداتنا الصوفية بمراتب الذكر، بدأية بذكر اللسان ونهاية بالمشاهدة الإلهية، والشفع إنما هو وجود الحقيقة الأحمدية فى الحقيقة المحمدية أى وجود الحقيقتين معا فى حالة الإثنينية، والوتر جمع الحقيقتين فى واحدية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أى ذاته إذ أن الوتر هو واحد الثلاثة، وإلى هذه الحقائق يشير الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف (إن الله فرد يحب الفرد وإن الله وتر يحب الوتر وإن الله جميل يحب الجمال) فالفردية إشارة إلى الحقيقة الأحمدية والوترية إشارة إلى الحقيقة المحمدية والجمال إشارة إلى الذات المحمدية، إذ هو لاهوت الجمال وناسوت الوصال صلى الله عليه وسلم «والليل إذا يسر» معناه كتم معرفة النبى صلى الله عليه وسلم فلا يمكن معرفته مالم يعرفنا هو بنفسه صلى الله عليه وسلم وفى ذلك يقولون:

جل وجه به تجـلى علينـا ... ففقـدنا بـنوره ما لدينـا
لو رأيناه فى الجمال اكتفينا ... أو شهدناه فى الجلال رأينا
أسدا فاتكا من الأسد أسطى

وفى تأكيد عدم معرفته قالوا:

يا طالبا عرفانه من غيره ... هيهات ذا صدت به فرسانه

ولما حاج اليهود والنصارى الرسول صلى الله عليه وسلم بأن سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام هو ابن الله نزلت عليه الآية الكريمة «قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين» فأثبتت هذه الآية أولية وجود نور النبى صلى الله عليه وسلم وأنه أول مع عبد المولى تبارك وتعالى فى هذه الحجب العشرة وهى مراتب الذكر بكل العبادات التى لا تتأتى لغيره صلى الله عليه وسلم فكان أعرف الخلق بالله وأخوفهم منه ووفى كل مراتب العبودية فسماه الله تعالى (محمدا) بمعنى خصاله كلها محمودة ولا يستحق هذا الاسم بحق وحقيق غيره عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وحديث سيدنا جابر الأنصارى رضى الله عنه يثبت أسبقية نوره صلى الله عليه وسلم وذلك عندما سأله سيدنا جابر عن أول شئ خلقه الله فقال صلى الله عليه وسلم (نور نبيك يا جابر) وتأكيدا لذلك فقال أيضا صلوات ربى وسلامه عليه (أنا من نور الله والمؤمنون من رشحات نورى) وقد سئل صلى الله عليه وسلم: متى نبئت؟ فقال (كنت نبيا وآدم منجدل فى طينته) ومرة أخرى قال ردا على سؤال سائل (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) ومرة ثالثة (كنت نبيا ولا ماء ولا طين) وقد قال ساداتنا الصالحون فى ذلك:

آدم من أجله يا لك من ... ولد قبل أبيه كون

والدليل المصحفى على أسبقية نوره صلى الله عليه وسلم سورة الإنسان فقد قال تبارك وتعالى «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا* إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا» قال بعض المفسرين أن الإنسان المقصود فى هذه السورة هو أبونا آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، ويقول أهل البصائر أن سيدنا آدم عليه السلام لم يكن مخلوقا من نطفة أمشاج، لذلك فإن المقصود فى هذه الآيات هو الإنسان الكامل (سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) فالنبى صلى الله عليه وسلم هو الأصل ودينه أصل الديانات وكل الأنبياء والمرسلين يسلمون على شريعته بدليل قوله تبارك وتعالى «إن أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا» فهم عليهم السلام مؤمنون بل هم أكثر إيمانا من غيرهم ولذلك فالنبى صلى الله عليه وسلم أولى بهم من أنفسهم لقوله تعالى «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم» وهم عليهم السلام المكلفون بتعريف أممهم بالنبى صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين» فاتضح من هذا وذاك أن أصل الهداية وأصل النور وكل مواثيق الدين عند النبى صلى الله عليه وسلم وهو الواسطة والمدد لكل الأنبياء والمرسلين كما قال تعالى «ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر» وقال تعالى «إن أرسلناك شاهدا» على أمم الأنبياء والرسل «ومبشرا» للمؤمنين «ونذيرا» للمكذبين «وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا» وهو صلى الله عليه وسلم وسيلة لكل الأنبياء فقد توسل به أبونا آدم، وقالوا فى ذلك:

والخلق تحت سما علاه كخردل ... والأمر يبرمه هناك لسانه
وتطيعه الأملاك فى جو السما ... واللوح ينفذ ما قضاه بنانه

وهو بشرى سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فهى ظاهرة فى قوله تعالى «ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد» وحسبنا فى بيان بعض شمائله ما قاله الإمام فخر الدين رضى الله عنه:

لا يعلم الثقلان عنه قدر ما ... جهلوا وضلوا فى جلى ضحاه
لا يبلغ الطلاب منه بداية ... أو تفته الأملاك ما نجـواه

صلى الله عليك وآلك وصحبك وسلم يا سيدى يا حبيب الله.

شراب الوصل

صبرت لحكم الله بل أنا شاكر

الشكر فى اللغة عرفان للجميل ونشره، والشكر من الله لعباده مجازاتهم على أعمالهم الصالحة، أما شكر العبد لنعمة الله فيكون بنشرها ومعرفتها كما ورد فى قوله تعالى «قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى» وقوله تعالى «ومن شكر فإنما يشكر لنفسه» أما الشكر من الله فقد ورد ذلك فى قوله تعالى «ومن تطوع خيرا فإن الله شاكرا عليما» وقوله تعالى أيضا «وكان الله شاكرا عليما» وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر فقال تعالى «لئن شكرتم لأزيدنكم» ولم يستثنى إلا فى خمسة أشياء: الإغناء فقال تعالى «فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء» والإجابة فقال تعالى «فيكشف ما تدعون إليه إن شاء» والرزق فقال تعالى «ويرزق من يشاء بغير حساب» والمغفرة فقال تعالى «ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» والتوبة فقال تعالى «ويتوب الله على من يشاء».

والشكر خلق من أخلاق الربوبية إذ قال تعالى «والله شكور حليم» وقيل فى الشكر هو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما سواء كان باللسان أو بالجنان أو بالأركان، وقيل أيضا هو زيادة فى النعم وأمان من النقم، وقيل هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه، وهو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وقد روى عن عطاء أنه قال: دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت: أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبكت وقالت: وأى شأنه لم يكن عجبا أتانى ليلة فدخل معى فى فراشى — أو قالت فى لحافى — حتى مس جلدى جلده ثم قال: يا ابنة أبى بكر ذرينى أتعبد لربى، قالت: قلت: إنى أحب قربك لكن أوثر هواك، فأذنت له فقام إلى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر منه ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكى حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا، ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى على «إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب».

وقيل أن الشكر هو الثناء على الله بما يكون منه خاصة بصفة هو عليها حيث ما هو مشكور، فهى صفة تقتضى الزيادة من المشكور للشاكر فإن شكر المنعم واجب عقلا وشرعا ولا يصح الشكر إلا على النعم... للحديث بقية

أحمد نور الدين عباس

الصبر

قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف، وذكر الصبر فى القرآن فى أكثر من موضع وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز وجل «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا» وقال تعالى «ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون»

وجمع للصابرين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى «أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون» وقال صلى الله عليه وآله وسلم (الصبر نصف الإيمان) والصبر نصف الإيمان باعتبارين: أحدهما اليقين والآخر الصبر، والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين، والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر، فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار، ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما فقال (من أقل ما أتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصبروا على ما أنتم عليه أحب إلى من أن يوافينى كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعض وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى «ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» واعلم أن الصبر ضربان أحدهما بدنى كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه وهو إما بالفعل كتعاطى الأعمال الشاقة إما من العبادات أو من غيرها وإما بالاحتمال كالصبر عن الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا إذا وافق الشرع والضرب الآخر المحمود التام وهو الصبر النفسى عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى، وللصبر مسميات تختلف حسب الحالة فإن كان صبراً على شهوة البطن والفرج سمى عفة، وإن كان على احتمال مكروه اختلفت أسماءه عند الناس باختلاف المكروه الذى غلب عليه الصبر فإن كان فى مصيبة اقتضر على اسم الصبر، وإن كان فى احتمال الغنى سمى ضبط النفس، وإن كان فى حرب ومقاتلة سمى شجاعة، وإن كان فى كظم الغيظ سمى حلما، وإن كان فى نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمى سعة الصدر، وإن كان فى إخفاء كلام سمى كتمان السر، وإن كان عن فضول العيش سمى زهدا، وإن كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمى قناعة.

وقيل فى الصبر ثلاثة أوجه: أحدها صبر لله عز وجل وهو على أداء أمره وانتهاء نهيه، وصبر مع الله عز وجل وهو الصبر تحت جريان قضائه وأفعاله فيك من سائر الشدائد والبلايا، وصبر على الله عز وجل وهو الصبر على ما وعد من الرزق والفرج والكفاية والنصر والثواب فى الدار الآخرة.

وقيل الصبر على قسمين أحدهما صبر على ما هو كسب للعبد، وصبر على ما ليس بكسب له، فالصبر على الكسب ينقسم إلى قسمين، أحدهما: على ما أمر الله به عز وجل والثانى: على ما نهاه عز وجل عنه وأما الصبر على ما ليس بكسب للعبد: فصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله وقضائه فيما له فيه مشقة وألم فى القلب والجسد، وقيل الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وقيل أيضا هو الفناء فى البلوى بلا ظهور شكوى، وقيل هو المقام مع البلاء بحسن الصحة كالمقام مع العافية، وقيل هو الثبات مع الله عز وجل وتلقى أذية بلائه بالرحب والسعة وهو ترك الشكوى، وقيل هو الاستعانة والاستعاذة بالله عز وجل، وقيل هو الاستعانة بالله.

وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاثة مقامات أولها ترك الشهوة وهذه درجة التائبين، وثانيها الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين، وثالثها المحبة لما يضع به مولاه وهذه درجة الصديقين، واعلم أن الصبر ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض ونفل ومكروه ومحرم، فالصبر عن المحظورات فرض والصبر على المكاره نفل والصبر على الأذى المحظور محظور والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة فى الشرع، واعلم أن الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدرة والصبر على الطاعة صبر على الشدائد.

وحكى عن بعض العارفين أنه سأل الشبلى عن الصبر أيه أشد؟ فقال: الصبر فى الله تعالى؟ فقال: لا، فقال: الصبر لله تعالى؟ فقال: لا، فقال: الصبر مع الله؟ فقال: لا، فقال فماذا؟ قال: الصبر عن الله، فصرخ الشبلى صرخة كادت روحه تتلف، وقد قيل الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء.

أحمد نور الدين عباس

جريدة التصوف الإسلامي الدولية
تصدر نصف شهرية (مؤقتا شهرية)
عن مؤسسة دار العز الصحفية

- رئيس مجلس الادارة
ورئيس التحرير د. عبدالله محمد أحمد
- مديرة التحرير هادية محمد الشلالي
- مستشار التحرير محمد صفوت جعفر

العنوان الرئيسي
السودان - الخرطوم - ص . ب ١١١٤ ، هاتف: ٤٨٤٦٧٧ - ٤٨٤٦٧٨
فاكس: ٤٧٦٩٣٨ - ٤٧٤٧٩٥
E-mail: rayatulizz@hotmail.com
www.rayat-alizz.com

الـريـاء

اعلم أن الرياء حرام والمرائى عند الله ممقوت فقوله تعالى «فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراؤون * و يمنعون الماعون» وقوله تعالى «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا» وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله رجل: يا رسول الله فيم النجاة؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم (أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس)

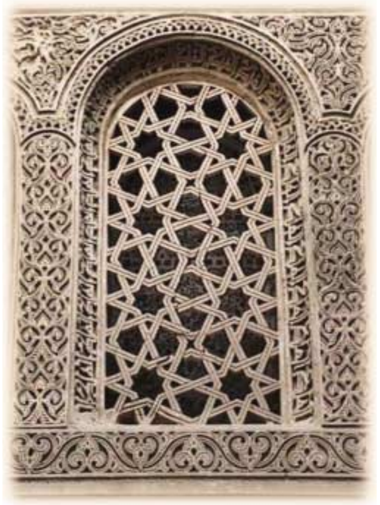

وقال ابن عمر رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم (من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به) وقال صلى الله عليه وآله وسلم (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء) يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين قمتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء، ويبتلى بالرياء العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فإنهم مهما قهروا أنفسهم وجاهدوها وقطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع فى المعاصى الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العمل والعلم، فتجد مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم، فتسارع النفس إلى إظهار الطاعة والتوصل إلى إطلاع الخلق ولم تقنع بإطلاع الخالق، وتفرح بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده، وإذا عرف الناس تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا فى التقريظ والإطراء ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا فى بركة دعائه وحرصوا على إتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام وأكرموه فى المحافل غاية الإكرام وسامحوه فى البيع والمعاملات وقدموه فى المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له فى أغراضه موقرين فأصابت النفس فى ذلك لذة هى أعظم اللذات وشهوة هى أغلب الشهوات وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجود الأعمال وقد أثبتت اسمه فى جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون، ومهواة لا يرقى منها إلا المقربون، فالمرائى يدعو الخلق إلى نفسه جللها عظما، فتصعد الحظوظ بعمل العبد من حين أصبح إلى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا صعدت به إلى السماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا صاحب الغيبة أمرنى ربى أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزنى إلى غيرى، قال ثم تأتى الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتمر به فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا، أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى إنه كان يغتاب به على الناس فى مجالسهم، قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى إنه كان يتكبر على الناس فى مجالسهم، قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدرى له دوى من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى إنه كان إذا عمل عملا أدخل العجب فى عمله، قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحمله على عاتقه أنا ملك الحسد إنه كان يحسد الناس، من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم، أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى، قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون بها إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر أضر به بل كان يشمت به، أنا ملك الرحمة أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى، قال وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، اضربوا به جوارحه اقفلوا به قلبه إنى أحجب عن ربى كل عمل لم يرد به وجه ربى إنه أراد بعمله غير الله تعالى إنه أراد رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا فى المدائن، أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل والوقار فى الكلام.

القسم الخامس: المرآة بالأصحاب والزائرين والمخالطين: كالذى يتكلف أن يستزيد عالما من العلماء ليقال إن فلانا قد زار فلانا أو عابد من العباد ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه.

وبالجملة فالنية لا تكون خالصة فى هذه الأعمال لوجه الله تعالى بل تكون لوجه الناس.

والمراءون طبقات، أشرّهم الذين يراءون بالأسباب السابق ذكرها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء، فإن قلت فالرياء حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل؟ فإن الرياء هو طلب الجاه وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات، وهذا موضوع آخر يطول الحديث فيه، وقد يتضح لنا من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم (عظم مقت الله للمرائى) فقد روى عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل: حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال: سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول (يا معاذ، قلت لبيك بأبى أنت وأمى يا رسول الله، قال: إنى محدثك حديثا إن أنت حفظته نفعك وإن أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة، يا معاذ إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السماوات والأرض ثم خلق السماوات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما، فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا صعدت به إلى السماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا صاحب الغيبة أمرنى ربى أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزنى إلى غيرى، قال ثم تأتى الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتمر به فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا، أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى إنه كان يغتاب به على الناس فى مجالسهم، قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى إنه كان يتكبر على الناس فى مجالسهم، قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدرى له دوى من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى إنه كان إذا عمل عملا أدخل العجب فى عمله، قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحمله على عاتقه أنا ملك الحسد إنه كان يحسد الناس، من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم، أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى، قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون بها إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر أضر به بل كان يشمت به، أنا ملك الرحمة أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى، قال وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، اضربوا به جوارحه اقفلوا به قلبه إنى أحجب عن ربى كل عمل لم يرد به وجه ربى إنه أراد بعمله غير الله تعالى إنه أراد رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا فى المدائن، أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائى، قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السماوات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم: أنتم الحفظة على عمل عبدى وأنا الرقيب على نفسه إنه لم يردنى بهذا العمل وأراد به غيرى فعليه لعنتى فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السماوات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السماوات السبع والأرض ومن فيهن، قال معاذ قلت يا رسول الله أنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا معاذ قال اقتد بى وإن كان فى عملك نقص يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة فى اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا فى عمل الآخرة ولا تتكبر فى مجالسك لكى يحذر الناس فى سوء خلقك ولا تناجى رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة فى النار قال الله تعالى: «والناشطات نشطا» أتدرى من هن يا معاذ؟ قلت ما هن بأبى أنت وأمى يا رسول الله؟ قال: كلاب فى النار تنشط اللحم والعظم، قلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها؟ قال: يا معاذ إنه ليسير على من يسره الله عليه).

أحمد نور الدين عباس

ولي نظم در

الموسيقى

الحمد لله الواجد الماجد فالق النوى والحب
والإصباح الذى أوجد السرور من عالم النور وفلق الأنوار
من عالم الأسرار وما كان سرور الكون إلا بمولد سيد الأكوان
وعلم الأعلام عليه الصلاه وأزكى السلام وعلى آله
وأصحابه السادة الأعلام هداة الأنام وأنوار الدجى والظلام
الذين بهم يتم النور وبرؤيتهم يكون السروروتنهل
الأفراح والعنا ينزاح.

فالطرب لايتأتى إلا بالانسجام، والموسيقى تأتى من عالم
اللاحس ولذا امتلكت الأحاسيس فتخرج صاحبها من
عالم الشعور إلى عالم غريب من اللاشعور فيتصرف ويتحرك
ويهتز دون أن يتحكم إراديا فى حركاته من الإهتزاز
الخفيف ثم إلى الرقص، ولذا كانت الأشعارمصدر من
مصادر الطرب مع حسن الأدب، وقد اهتم أصحاب النظم
بالإيقاع فى نظمهم أو رسمهم فتبارزوا فى إحكام القوافى
والأوزان.. ولكن شيخنا فى نظمه قد استعرض كل
القوافى والبحور بداية ووسطا وختما كما أنه جمع كل
الأبجدية فى بعض قصائده كما أنه بدأ وختم بنفس
الحرف فى بعضها الآخر، والأبيات التى بين أيدينا من
قصيدته البائية فنج أنه رضى الله عنه قد بدأ واستوسط
وختم مقفيا غير مقتفيا غيره فى القصيد وصدق إذ قال:

ومن ملك النواصى للقوافى
إذا رام اليد الطولى اقتفاها

فإذا كتبنا أبيات تلك القصيدة على غرار وزنها نجد فيها
قافية للشطر الأول من البيت ثم قافية ثانية فى بداية
الشطر الثانى ثم قافية ثالثة فى نهاية الشطر الثانى فى
قوله رضى الله عنه:

تالله ما نضب المعـي ... ن ولا معينى ينضب
فأنا على مر السنـي ... ن لكل قوم مشـرب
نوري من النور المبي ... ن ونور جدي الأغلب

فإن كتابة القصيدة على هذا النحو تظهر لونا من
الموسيقى عند قراءتها فيلزمك خفض الصوت مع نهاية
الشطر الأول حيث يظهر حنين الياء مع مد خفيف حتى
تصل حرف النون فيلزمك رفع الصوت مع بداية الشطر
الثانى من الجواب فى رتبة الصوت وتسرح مع الشطر
الثانى من الجواب حتى تصل القرار مع انسجام حرف
الباء الذى يختم الشطر الثانى فيتكون لحن جميل من غير
آلات موسيقية أو إيقاعية وتجد الانسياب قد صنع
موسيقى تطرب معها الأرواح، والجواب والقرار قد كون
إيقاعا إبداعيا ترقص الأبدان معه شوقا للقاء الحبيب:

إذا اهتزت الأرواح شوقا إلى اللقا
نعم ترقص الأشباح يا جاهل المعنى

شيخ أبوه

تاريخ المدينة المنورة

العهد العثمانى الأول ٩٢٣-١٣٣٧هـ

بدأ هذا العهد بإعلان ولاء الحجاز للسلطان العثمانى سليم الأول الذى كان فى القاهرة بعد أن استولى على مصر وأنهى حكم المماليك، فتوجه إليه وفد من أعيان الحجاز برئاسة ابن شريف مكة وقدم الطاعة للسلطان، ففرح السلطان بذلك ولقب خاقان البر والبحر وخادم الحرمين الشريفين. ظلت المدينة تابعة لشريف مكة، وأخذ نفوذ أمير المدينة يتقلص بسرعة فى مواجهة نائب شريف مكة الذى بدأ يدير الأمور ويستعين برجاله ثم انتهى النفوذ وألغيت إمارة الحسينيين فى الربع الأخير من القرن العاشر الهجرى ومن جهة أخرى استفادت المدينة اقتصاديا فوصلتها الأموال والمساعدات العينية، وتضاعف عدد الزائرين بانضمام أعداد جديدة من أتباع الدولة العثمانية المترامية الأطراف.

وفى عام ٩٣٩هـ أمر السلطان سليمان القانونى ببناء سور جديد ومعه قلعة حصينة لتكون موقعا للحامية العثمانية، وازداد عدد المقيمين فى المدينة من موظفى الدولة والمهاجرين الجدد، وظهرت تغييرات فى البنية السكانية وتصاهرت العائلات وأصبح تعيين كبار الموظفين من الاستانة، خاصة شيخ الحرم والقاضى والأغوات (خدام المسجد النبوى) والقائد العسكرى والضباط، وقد رابطت حامية مؤلفة من ثلاث فرق فى القلعة، وانتشرت اللغة التركية إلى جانب العربية، وعاشت المدينة فى عزلة سياسية بعيدة عن الأحداث وانتهى الصراع على الإمارة كما انتهت سلطة آل مهنا الحسينية، وانتقل كثير منهم إلى القرى والمزارع وانغمس الباقون فى العلم والتجارة، وافتتحت عدة مدارس فى الأربطة، وازدهر النشاط العلمى فى القرن الحادى عشر، ونجت المدينة من الصراعات التى كانت تدور فى مكة على الإمارة ولكنها بقيت تابعة لأمير مكة اسميا، وفى عام ١٠٤٠هـ اشتد الصراع فى مكة على الإمارة ولجأ الشريف زيد بن محسن إلى المدينة وكتب إلى والى مصر يستعديه على خصمه الشريف نامى فأرسل والى مصر ثلاثة آلاف جندى لنصرته وإعادته إلى الإمارة وخرج معه بعض مناصريه من أهل المدينة، ولما تولى الإمارة أحسن إليهم، وساعد على تنظيفها من المفسدين، فنعمت المدينة بالأمن والطمأنينة، وتولى بعده ابنه الشريف سعد عام ١٠٧٧هـ وعين نائبا عنه فى المدينة فأساء النائب التصرف، وتدخلت الدولة العثمانية بعد أن كثرت الشكاوى ضده فعزلته وسجنته، وكان هذا مظهرا من مظاهر تمدد القوى المنفذة وتداخلها فقد أصبحت العاصمة العثمانية مرجعا أخيرا يعزل ويولى نوائب الشريف هو الحاكم الفعلى يتبع شريف مكة وغالبا ما يكون من أبنائه أو أقاربه، وقد يحدث صدام بينه وبين القوة العثمانية.

ففى عام ١٠٩٠هـ قتل رجال الحامية نائب الشريف بحجة أنه سب الخليفة العثمانى وقبل نهاية القرن الحادى عشر وقعت صدامات مع أفخاذ من قبيلة حرب فى موسم (الرجبية) وحدث سيول ضخمة أغرقت المزارع وكادت تغرق بعض الأحياء، وفى القرن الثانى عشر ضعفت الإدارة العثمانية وتنازعت القوى المختلفة المتحكمة بالمدينة، وحدثت صراعات بين قيادات الفرق العسكرية، كما حدثت صراعات مع قبيلة بنى على، ووقعت خسائر فى الطرفين، واشتد الاضطراب وكثر الفساد، وشارك فيه بعض الأغوات الذين لم يشتغلوا بمهمتهم الرئيسية وتأثروا بالأحوال السائدة، وفى مقابل ذلك حاول بعض المصلحين من أهل المدينة تدارك الأمر فتعاهدوا على مواجهة الفساد وبدؤوا يعملون لذلك فأطلق عليهم اسم جماعة العهد، وحدث أن اصطدم بعض الأغوات مع عساكر القلعة وتحول الصدام إلى قتال، وتحصن الأغوات بالمسجد النبوى وأغلقوه وحملوا السلاح وتدخل جماعة أعضاء العهد لإنهاء الفتنة فرفض الأغوات وساطتهم، وأمر القاضى بالقبض على الأغوات المشاركين فى الفتنة وفتح المسجد النبوى وتم ذلك، فنقم الأغوات على جماعة العهد واستطاعوا بعد مدة أن يستصدروا أمرا من السلطان العثمانى بقتلهم، وقتل بعضهم وهرب الآخرون وانتهت الجماعة.

وفى عام ١١٨٤هـ كثرت الفتن بين عساكر القلعة وهاجم بنو على المدينة، وكثرت الاضطرابات وازداد الفساد فى الجهاز الإدارى، فقام موظف صغير فى الفرقة العسكرية اسمه حسن كابوس بتحريض الناس ضد المفسدين من كبار الموظفين والضباط، الذين استولوا على شحنات الحبوب المرسلة للمدينة، واندلعت نار الفتنة وحاصر الناس القلعة وأخرجوا المفسدين من المدينة، لكن عساكر القلعة انتقموا بعد مدة واغتالوا حسن كابوس.

وكانت الاضطرابات تهدأ حينا وتشتد حينا آخر ومحركها الأكبر قادة الفرق العسكرية المتصارعون على النفوذ ولكنهم كانوا يتحدون عندما تواجه المدينة خطراً خارجيا من الأعراب وغيرهم. وقد استطاع الشريف سرور حاكم مكة أواخر هذا القرن أن يضعف شوكتهم وقبض على عدد منهم وسجنهم فى مكة فاستراحت المدينة منهم وعاد إليها الهدوء والسكينة، وعاشت العقد الأول من القرن الثالث عشر الهجرى فى أمن وطمأنينة، وقد ساعد هذا الجو على امتداد الحركة الإصلاحية التى قامت فى نجد نتيجة التعاون بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأسرة السعودية ودخل بعض الأفراد وأفخاذ القبائل فى الدعوة وتجمع عدد منهم فى عوالى المدينة وبنوا حصنا كبيرا جعلوه مقرا للدعوة، وعندما اصطدم شريف مكة (الشريف غالب) برجال الدولة السعودية الأولى زحف هؤلاء لتخليص الحجاز من حكم الشريف غالب وحاصروا المدينة فطلب أعيانها الأمان وبايعوا الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد آل سعود فانتهت المرحلة الأولى من العهد العثمانى وبدأت مرحلة عهد الدولة السعودية الأولى وذلك فى عام ١٢٢٠هـ ودخل السعوديون المدينة.

في قصة موسى والخضر

لما علا شرف الكليم بالتكليم على كل شرف، قال له قومه: أى الناس أعلم؟ فقال: أنا، ولم يقل فيما أعلم، فابتلى فيما أخبر به وأعلم، فقام بين يدى الخضر، كما يقوم بين يدى السليم الأعلم فابتدأ بسؤال هل أتبعك (الكهف٦٦) فتلقاه برد لن (الكهف٦٧) وكم أن موسى من لن أمر قومه بالإ يمان فقالوا لن نؤمن (البقرة٥٥) وقعوا فى التيه فقالوا لن نصبر (البقرة٦١) ندبوا إلى الجهاد فصاحوا لن ندخلها (المائدة٢٢) طرق باب أرنى (الأعراف١٤٣) فرده حاجب لن، دنا إلى الخضر للتعلم فلفظه بلفظ لن ثم زاده من زاد الرد بكف وكيف تصبر (الكهف٦٨) فلما ساعه على نوبة السفينة وزاوجهه بالعتاب فى كرة الغلام، أراق ماء الصحبة فى جدال الجدار هذا فراق بينى وبينك (الكهف٧٨).

ثم فسر له سر المشكل، فجعل يشرح القصص فصلا فصلا بمقول قائل يقول فصلا، وكلما ذكره أصلا أصلى، لم يبق لموسى عين تراه أصلا، وكلما سل من حر للعتاب نصلا، صاح لسان حال موسى: كم نصلى؟ فألقى تفسير الأمور على الكليم وأملى، والقدر يقول: أهو أعلم أم لا؟

فعلم موسى ويوشع أى عبد أما، منذ ابتدأ بالشرح بأما، ثم أخذ لسان العتاب يذكر منسى موسى، أتنكر خرق سفينة لظاهر إفساد تضمن ضمنه صلاح ولكم فى القصاص حياة (البقرة١٧٩) أو تنكر إتلاف شخص دنئ لإيقاء دين شخصين؟ أو كرهت إقامة الجدار لشح أهل القرية بالقرى، أفأردت من الأصفياء معاملة البخلاء بالبخل؟ أما تلمحت سر صل من تقطعك. رواه الإمام أحمد فى المسند٤/١٤٨

لقد أنكرت ما جرى لك مثله، حذرت يوم السفينة من الغرق فصحت بإنكار أخرقتها (الكهف٧١) أنسيت يوم فألقيه فى اليم (القصص٧)؟! أنكرت قتل نفس بغير نفس، أنسيت يوم فوكزه (القصص١٥)؟! نهيت عن عمل بلا أجر، أنسيت يوم فسقى لهما (القصص٢٤)؟! فلما بان البيان خرج الخضر من (باب) دار الدعوى وأخرج يده من ملك التصرف وأحال الحال على الغير وما فعلته عن أمرى (الكهف٨٢).

وهذه القصة قد حرضت على جمع رحل الرحيل فى طلب العلم، وعلمت كيفية الأدب فى كف كف الاعتراض على العلم، وصاح فصيح نصيحها بذى اللب: دع دعواك، فعلى دعوى الكليم ليم وفوق كل ذى علم عليم (يوسف)

الأخ الوفي في المنهج الصوفي

إن شأن الأخوة فى الله التى لها من المنزلة العالية مكان أى مكان لدرجة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث أخرجه الترمذى عن سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل (المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء) فهذه المنزلة التى لا تنال إلا بالمحبة الصادقة فى الله لها من القواعد والأسس التى أرساها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعظم وأكمل ما تكون معانى الأخوة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أبو يعلى عن سيدنا سهل بن سعد (مثل المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الرأس لما فى الجسد) فالإشارة فى هذا الحديث أن أهل الإيمان مثل الجسد الواحد يعطى من المعانى أسماها فى شأن الأخوة، ففى الجسد نجد التكامل، الشمولية، الواحدية، التنظيم، التناسق فى الأداء، وغيرها من معانى وحدة الصف بين المؤمنين، وكلما ارتقى المؤمن فى الله عز وجل كلما كان إحساسه بإخوانه أشد وأعمق وأدق، ونشير فى هذا الصدد إلى قول الإمام الغزالى والمروى فى كتاب (الفتوحات الإلهية) لسيدى أحمد بن عجيبة الحسينى إلى حقوق الإخوان وهى ثمانية كما وردت فى الكتاب وبيانها على الإيجاز:

الحق الأول فى المال وذلك بالمواساة، أى تعطى أخاك منه، وهو على ثلاث منازل، أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك وأن تنزله منزلة نفسك وأن تؤثره على نفسك، والحق الثانى هو الإعانة بالنفس فى قضاء الحاجات، وأما الحق الثالث فهو على الإنسان بالسكوت عن أسراره وطباعه، والحق الرابع على اللسان بالنطق فى المودة والمواساة والموعظة، والحق الخامس العفو عن الزلات والهفوات، أما الحق السادس فهو الدعاء له فى حياته وموماته بكل ما تحب لنفسه وأهله، والحق السابع الوفاء والإخلاص بدوام المحبة له بعد موته فى أهله وأحبابه، وأخيراً الحق الثامن هو التخفيف وترك التكليف والتكلف. ولعل وجود كدر فى نفس المؤمن تجاه أخيه تحول بينها وبين القيام بتلك الحقوق، ونشير فى هذا الصدد لقول سيدى أبو سعيد الخراز: صحبت الصوفية (أى إخوانه) خمسين سنة ما وقع بينى وبينهم خلاف، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: لأنى كنت معهم على نفسى، ويقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه (رحم الله امرؤ أهدى إلى عيوبى)، ويقول سيدنا معاوية الأسود (إخوانى كلهم خير منى) قيل: وكيف ذلك؟ قال: (كلهم يرى لى الفضل عليه ومن فضلنى على نفسه فهو خير منى). وعلامة الأخوة بمعناه الذى يرتضيه أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ما قاله مولانا جعفر الصادق رضى الله عنه (أثقل اخوانى على من يتكلف لى وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى) وفى الختام نختم بقول مولانا الإمام فخر الدين رضى الله عنه فى ديوانه شراب الوصل:

بنى كفوا فما كفران نعمتنا ... يفيدكم والتآخى شكر نعمتنا

أبو العباس مصطفى

واحة الثقافة والأدب

قصص

كان الخليفة العباسى أبوجعفر المنصور حريص على المال، فالمال العام أمانة فى أيدى الحكام للأجيال القادمة، وكما كانت عادة الأمراء والخلفاء أنه إذا جاءهم شاعر وقال شعرا جيدا كانوا يكافئونه بالهدايا والعطايا، ولكن أبو جعفر المنصور لم يشأ أن يهدر المال العام على الشعراء، فأعلن أنه إذا جاء شاعر إليه وقال شعرا لم يسمعه من قبل فسوف يعطيه وزن ما كتبه ذهبا، وكان الخليفة أبوجعفر المنصور صاحب سرعة فى حفظ القصائد حتى أنه كان يحفظ القصيدة التى تنشد أمامه من أول مرة وكان لديه غلام يحفظها من المرة الثانية وله جارية تحفظها من ثلاث مرات، فإذا جاء الشاعر فأنشد أمامه حفظها هو من المرة الأولى ثم يقول للشاعر: لا، لقد سمعتها من قبل؟! (وهو لم يكذب لأنه بالفعل سمعها من الشاعر نفسه) وينشدها إليه، فيتعجب الشاعر، فيقول له الخليفة بل إن لى غلاما يحفظها أيضا، فيأتى الغلام فينشدها فيزداد تعجب الشاعر، فيقول له الخليفة بل إن لى جارية تحفظها أيضا، فتأتى الجارية وتنشدها، فيتعجب الشاعر أشد العجب، حتى أنه يقول: أنا لست بشاعر، فإن تراود الأفكار يكون فى بيت أو بيتين لا فى قصيدة كاملة، فينصرف مكسورا حزينا، ولا يعطيه الخليفة شيئا، فاجتمع الشعراء ذات ليلة وكان معهم الأصمعى (وكان كبير الشعراء وأفصحهم) فقال لهم مالى أراكم مهمومين فسردوا له ما جرى عند الخليفة، فقال إن فى الأمر لمكر، فقام بنظم قصيدة وتنكر فى زى أعرابى وذهب إلى الخليفة فقال له إنى من شعراء الموصل فقال له الخليفة: هل تعرف الشروط فقال له: نعم، إن كانت من قولى أعطيتنى وزن ما كتبته عليها ذهبا فقال الخليفة: أصبت فقل. فقال القصيدة والتى هى بعنوان (صوت صفير البلبل) والتى يقول فيها:

صوت صفير البلبل هيج قلب الشمل
الماء والزهر معا مع زهر لحظ المقل
وأنت يا سيد لى وسيدى ومولى لى
فكم فكم تيمنى غزيل عقيقلي
قطفته من وجنة من لثم ورد الخجل
فقال لا لا لا لا وقد غدا مهرول
والخود مالت طربا من فعل هذا الرجل
فولولت وولولت ولى ولى يا ويل لى
فقلت لا تولولى وبينى اللؤلؤلي
قالت له حين كذا انهض وجد بالنقل
وفتية سقوننى قهوة كالعسل لى
شممتها بأنفى أزكى من القرنفل
فى وسط بستان حلى بالزهر والسرور لي
والعود دندن دنا لى والطبل طبطب طب لى
طب طبطب طب طبطب طب طبطب طب لى
والسقف سق سق سق لى والرقص قد طاب لى

وحين سمع الخليفة القصيدة لم يستطع أن يحفظها لا هو ولا الغلام ولا الجارية، فقال له الخليفة: أعطنا ما كتبتها عليه يا أعرابي. فقال له:أو قد ورثت عامودا من رخام أبا عن جد نقشت عليه القصيدة وهو على ظهر الناقة ولا يستطيع حمله إلا أربعة من الجنود فانهار الخليفة، فلما قام الخليفة بوزن الرخام أخذ ما مع الخليفة من ذهب وعندما هم بالذهاب قال له الخليفة توقف وأزل اللثام عن وجهك فلما أزال اللثام عن وجهه وجده الأصمعى وكان الخليفة يعرفه فقال له: الأصمعى؟! ويحك أعد المال. فقال له: أرجعه ولكن بشرط إذا أتاك شاعر فأعطه حقه فإنهم أصحاب عيال فقال له الخليفة قبلت الشرط أعد المال فأعاده.

نفحات وعبر

سئل الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه ما أعظم جنود الله؟؟

قال : إنى نظرت إلى الحديد فوجدته أعظم جنود الله، ثم نظرت إلى النار فوجدتها تذيب الحديد فقلت: النار أعظم جنود الله، ثم نظرت إلى الماء فوجدته يطفئ النار فقلت: الماء أعظم جنود الله، ثم نظرت إلى السحاب فوجدته يحمل الماء فقلت: السحاب أعظم جنود الله، ثم نظرت إلى الهواء وجدته يسوق السحاب فقلت: الهواء أعظم جنود الله.

ثم نظرت إلى الجبال فوجدتها تعترض الهواء فقلت: الجبال أعظم جنود الله، ثم نظرت إلى الإنسان فوجدته يقف على الجبال وينحتها فقلت: الإنسان أعظم جنود الله، ثم نظرت إلى ما يقعد الإنسان فوجدته النوم فقلت: النوم أعظم جنود الله، ثم وجدت أن ما يذهب النوم فوجدته الهم والغم فقلت: الهم والغم أعظم جنود الله، ثم نظرت فوجدت أن الهم والغم محلهما القلب فقلت: القلب أعظم جنود الله، ووجدت هذا القلب لا يطمئن إلا بذكر الله فقلت: أعظم جنود الله ذكر الله.

رحمه الله والعجيب فيها أنك عندما تقرأها من اليمين إلى اليسار تكون مدحا وعندما تقرأها من اليسار إلى اليمين تكون ذما.

من اليمين إلى اليسار فى المدح :

طلبوا الذى نالوا فما حرموا
رفعت فما حطت لهم رتب
وهبوا وما تمت لهم خلق
سلموا فما أودى بهم عطب
جلبوا الذى نرضى فما كسدوا
حمدت لهم شيم فما كسبوا

من اليسار إلى اليمين فى الذم:

رتب لهم حطت فما رفعت
حرموا فما نالوا الذى طلبوا
عطب بهم أودى فما سلموا
خلق لهم تمت وما وهبوا
كسبوا فما شيم لهم حمدت
كسدوا فما نرضى الذى جلبوا

أغرب ثلاث ابيات

قصيدة شعرية عجيبة، نظمها إسماعيل بن أبى بكر المقرى

مثال الحكم

ألغاز فقهية على مذهب المالكية

الأسئلة

س١: ما تقول فى رجل صائم فى نهار رمضان ركب سيارته بعد الفجر للسفر فهل يجوز له أن يأكل ويشرب فور ركوبه لأنه عقد نيته السفر أم ينتظر حتى يفارق البنيان (بيوت مدينته)؟

س٢: ما تقول فى وضوء صحيح تام مستغرق لجميع أعضاء الوضوء من مسلم مكلف ولم يجز له أن يصلى به؟

س٣: أوحى الله إليهم وليسوا من الإنس والجن ولا من الملائكة، فمن هم؟

س٤: ما تقول فى رجل دخل على آخر فألقى عليه السلام فلم يجز للمدخول عليه أن يحييه بمثل تحيته ولا بأحسن منها، وكلاهما مسلمين عاقلين بالغين؟

س٥: ما تقول فى رجل طلق زوجته ولا يجب عليها أن تحتجب عنه ولا يحرم عليها مواكلته ومجالسته والحديث معه، وليس فى المسألة رضاع؟

س٦: من المعلوم أن الانغماس الكامل فى الماء شرط لصحة الغسل، فما تقول فى رجل عليه جنابة فانغمس فى الماء كاملا ومع ذلك لم يطهر من الجنابة؟

س٧: ما تقول فى رجلين أتيا متأخرين لصلاة العشاء فوجدا الإمام يصلى التراويح فهل يدخلان معه بنية العشاء ويتمان بعد سلامه أم يصليان جماعة ثم يدخلان معه فى التراويح أم ماذا يفعلان؟

س٨: ما تقول فى رجل صلى جالسا مع قدرته على القيام وصحت صلاته وليس فى المسألة خوف ولا اضطرار ولا مرض؟

س٩: ما تقول فى رجل نام مساء ٢٩ شعبان ولا يعلم هل غدا أول رمضان أم لا، ولما استيقظ بعد الفجر أخبره أهله أن اليوم أول رمضان هل يلزمه الإمساك؟ وهل صومه صحيح؟ أم ماذا يفعل؟

س١٠: ما تقول فى رجل يستمع إلى خطبة الجمعة فوجب عليه أن يقوم والإمام يخطب ويأتى بركعتين ثم يجلس لينصت للخطبة؟

الأجوبة

ج١: لا يجوز له أن يفطر حتى يفارق بيوت مدينته ويصدق عليه أنه مسافر.

ج٢: هذا يقع من الجنب إذا توضأ للنوم أو الأكل كما جاء فى السنة فإنه لا يجوز له أن يصلى بهذا الوضوء لأن جنابته باقية ولا يرفعها إلا الغسل.

ج٣: النحل «وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾ النحل،٦٨.

ج٤: المدخول عليه كان فى صلاة والمصلى لا يجوز أن يتلفظ برد السلام وإنما يرده بالإشارة بكفه أو إصبعه كما ورد فى السنة.

ج٥: هذا رجل طلق زوجته طلاقا رجعيا، والمطلقة طلاقا رجعيا ينبغى لها أن تبقى فى بيت زوجها الذى طلقها ولا تخرج منه ويستحب لها أن تتزين له وتتحبب إليه ولا تحتجب عنه.

ج٦: هذا رجل سقط فى الماء رغما عنه ومع أن جسده تعمم بالماء كاملا فإنه لم ينو رفع الحدث ولذا لا ترفع عنه الجنابة، فالواجب عليه إعادة الغسل بنية رفع الحدث الأكبر ثم تعميم الجسد بالماء.

ج٧: الأولى أن يدخلا مع الإمام بنية العشاء، ويتمان بعده لينالا أجر الجماعة، ولا يشوشان على المصلين بصلاتهما وحدهما.

ج٨: هذا رجل يصلى نافلة غير فريضة والنافلة يجوز فيها للمصلى الصلاة جالسا مع قدرته على القيام ولكن له نصف أجر القائم كما جاء فى الحديث.

ج٩: يلزمه الإمساك فى هذا اليوم لحرمة الشهر وعليه القضاء بدله لأنه لم يبيت النية من الليل.

ج١٠: هذا رجل تذكر أثناء الخطبة أنه لم يصل صلاة الفجر (نسيها) فوجب عليه أن يقوم من حين تذكرها ويصليها ثم يجلس ليصلى الجمعة، قال) (من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك).

عذب الحديث

يا سيد السادات جئتك قاصداً

يا سيد السادات جئتك قاصداً
أرجو رضاك واحتمي بحماك
والله يا خير الخلائق إن لي
قلباً مشوقاً لا يروم سواك
وبحق جاهك إنني بك مغرم
والله يعلم أنني أهواك
أنت الذي لولاك ما خُلق امرؤ
كلا ولا خلق الورى لولاك
أنت الذي من نورك البدر اكتسى
والشمس مشرقة بنور بهاك
أنت الذي لما رفعت إلى السما
بك قد سمت وتزينت لسراك
أنت الذي ناداك ربك مرحباً
ولقد دعاك لقربه وحباك
أنت الذي فينا سألت شفاعة
ناداك ربك لم تكن لسواك
أنت الذي لما توسل آدم
من زلةٍ فاز وهو أباك
وبك الخليل دعا فعادت ناره
برداً وقد خمدت بنور سناك
ودعاك أيوب لضر مسه
فأزيل عنه الضر حين دعاك
وبك المسيح أتى بشيراً مخبراً
بصفات حسنك مادحاً لعلاك

الإمام أبوحنيفة النعمان

ما استطاعة حج البيت عن سعة

إن المتأمل للتاريخ القريب يجد أن الكلام فى فريضة الحج يختلف بين علماء الأمس وخطباء اليوم ولذا عمدنا إلى كلام شيخ الأزهر سيدى عبد الوهاب الشعرانى ونقلناه بدون تدخل أو تعديل وتركنا المقارنة للقارئ الكريم فكل ما كان طبيعيا من حجاج الأمس هو فى نظر من يدعون العلم فى زماننا كفر وشرك وبدع فسبحان الله من أدعياء يعيبون على العلماء ونسأل الله السلامة.

سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول لشخص من العلماء أراد الحج: إياك يا أخى أن تجاور فى مكة أو المدينة فتعجز عن القيام بأدائها، فيصدق عليك المثل السائر حججت ومعك خرج زاد، فرجعت وفوق ظهرك ألف خرج أوزار، أى لأن تبعات كل شخص ممن تستغيبهم تجعل وحدها يوم القيامة، فكأنها خرج وحدها.

فقال له: يا سيدى اسمحوا لى بالمجاورة.

فقال: لا أسمح لك إلا إن كنت تدخل على شروط.

فقال الشيخ: منها أنك لا تدخر قط فيها قوتا ولا دراهم مدة إقامتك بها، ومنها أنك لا تأكل قط طعاما وحدك وأنت تعلم أن فيها أحدا جائعا فى ليل أو فى نهار، ومنها أن تلبس الهدوم الخليقات ولا تلبس شيئا قط من الثياب الفاخرة بل تبيعها وتنفقها على الفقراء الجياع، ومنها أن لا تحن مدة إقامتك إلى رجوعك إلى بلدك أبدا ولا تشتاق إلى دار ولا إلى ولد ولا إلى وظيفة ولا إلى إخوان فى غير مكة، لأنك فى حضرة الله الخاصة وهو لا يأخذ منك إلا قلبك، وقلبك خرج من حضرته فبقيت فى حضرته جسما بلا قلب، ومنها أن لا يطرقه مدة إقامته هلع ولا رائحة اتهام للحق تعالى من أمر رزقه ولا يخاف أن يضيعه أبدا، لأن أهل حضرة الله تعالى لا يجوز لهم ذلك بل ربما مقت صاحب الاتهام وطرد من حضرة الله تعالى لسوء أدبه وضعف يقينه، وهو يرى الحق تعالى يطعمه ويسقيه فى حين كان فى بطن أمه إلى أن شابت لحيته، وهذا من أقبح ما يكون مع أن تلك الأرض تعطى ساكنها بالخاصية الهلع والاتهام للحق فى أمر الرزق، حتى لا يكاد يسلم من ذلك إلا أكابر الأولياء -قيل: ومن هنا كره الأكابر الإقامة بمكة- ومنها أن لا يخطر فى نفسه مدة إقامته هناك معصية أبدا، ولو تعذر الوقوع من مثله فكيف بقربه الوقوع، ومن هنا سافر الأكابر من الأولياء بنسائهم وتكلفوا مؤونة حملهم لأجل ذلك، وكان الشعبى يقول: لأن أقيم فى حمام أحب إلى من أن أقيم بمكة، وكان يقول لأن أكون مؤذنا بخراسان أحب إلى من أن أقيم بمكة خوفا أن يخطر فى نفسى إرر ادة ذنب ولو لم أفعله فيذيقنى الله من عذاب أليم لقوله تعالى ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ وهذا خاص بالحرم المكى فهو مستثنى من حديث (إن الله تعالى تجاوز عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل) الحديث، وقد قالوا لابن عباس لما سكن الطائف لم لا تقيم بمكة؟ فقال لا أقدر على حفظ خاطرى من إرادة ظلمى للناس أو ظلمى لنفسى، فكيف لو وقعت فى الفعل فإن الله تعالى لم يتوعد أحدا على مجرد إرادته السوء دون الفعل له إلا بمكة.

فقال الشخص: يا سيدى التوبة عن المجاورة وحج ولم يجاور.

وقد أخبرنى سيدى محمد بن عنان أن أولياء العصر حجوا مع سيدى أبى العباس الغمرى نفعنا الله ببركاته، وكانوا خمسة عشر وليا من مصر وقراها فقالوا له يا سيدى: دستوركم نجاور فى مكة أو المدينة؟ فقال: من قدر منكم على أدب مكة أو المدينة فليجاور، فقالوا له وما أدب مكة؟ فقال: أن يكون على صفات أهل حضرة الله من الأنبياء والأولياء والملائكة ولا يطرق سريرته قط شئ يكرهه الله مدة إقامته بها، فكيف إذا فعل ما يكرهه الله، فقالوا له ما أدب المدينة؟ فقال: هو كأدب مكة ويزيد عليها أنه لا يخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع أحواله حتى إنه يصغر عمامته ويتصدق بكل شئ دخل يده ولا يلقى فى المدينة درسا إلا بما صرحت به الشريعة دون ما فيه رأى أو قياس أدبا معه صلى الله عليه وسلم أن يكون لغيره كلام فى حضرته إلا بمشاورته، فإن كان من أهل الصفاء فليشاوره صلى الله عليه وسلم فى كل مسألة فيها رأى أو قياس، ويفعل بما أشار به صلى الله عليه وسلم بشرط أن يسمع لفظه صلى الله عليه وسلم صريحا يقظة، كما كان عليه الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله قال: وقد صححت منه صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث قال بعض الحفاظ بضعفها، فأخذت بقوله صلى الله عليه وسلم فيها ولم يبق عندى شك فيما قاله، وصار ذلك عندى من شرعه الصحيح أعمل به وإن لم يطعنى عليه العلماء بناء على قواعدهم.

فقال المشايخ كلهم: ما منا أحد يقدر على ما قلتم ورجعوا كلهم تلك السنة مع سيدى أبى العباس وكان من جملتهم سيدى محمد بن داود وسيدى محمد العدل وسيدى محمد أبو بكر الحديدى، والشيخ على بن الجمال والشيخ عبد القادر الدشطوطى، وأخبرنى شيخى الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمرى وكان حاجا معهم: أن سيدى عبد القادر الدشطوطى لم يدخل الحرم المدنى وإنما ألقى خده على عتبة باب السلام من حين دخل الحج للزيارة حتى رحلوا وحملوه وهو مستغرق، فما أفاق إلا فى مرحلة (أبيار على) رضى الله عنه.

فتأمل يا أخى فى أحوال أهل الأدب مع الله تعالى وأنبيائه فى جلوسهم فى المساجد أو الأسواق واقتدى بهم وتقدم قبل هذا العهد بإثنى عشر عهدا زيادة على هذا فراجعها والله يتولى هداك.

أن نبادر بالحج إذا استطعناه، لاسيما عند خوفنا احترام المنية، ولا نتأخر لعلة دنيوية ولا لخوف الموت فى الطريق، كما يقع فيه بعض من غلب عليه حب الدنيا وشق عليه مفارقة أهله وأوطانه وشربه الماء الحلو وأكله الفواكه وجلوسه فى الظل وجمعه المال من وظائفه وغير ذلك، فيموت أحدهم من غير أن يجج حجة الإسلام، وذلك فى غاية النقص، فإنه لا يكمل أركان دين الغنى والفقير إلا بالحج، وقد قلت مرة لبعض طلبة العلم: ألا تحج؟ فقال لا أستطيع، فقالت له: لماذا؟ فقال: خوفا أن يسمى أحد على وظيفة تدريسى للعلم فقلت: هذا ليس بعذر شرعى، فإن تدريس العلم ما شرع إلا بغير معلوم احتسابا لوجه الله، وما أحد يعارض فى مثل ذلك، فقال: أخاف أن يأخذها أحد لأجل معلوم الذى فيها، فقلت له: كم عيالك؟ فقال أربعة أنفس، فقلت له: كم لك من المعلوم كل يوم، فقال عشرة أنصاف غير معلوم هذه الوظيفة، فقلت: إنها والله تكفيك، فتهاون فى الحج حتى جاءه شخص فسرق من بيته قبيل موته نحو ثلاثمائة ذهبا، فدخلت له فقلت له: أين قولك إنك لا تستطيع الحج؟ فقال حب الدنيا غلب على قلوبنا، فقلت له: فيجب عليك أن تتخذ لك شيخا ليسلك بك الطريق حتى يخرجك من محبة الدنيا، فقال لا أستطيع مجاهدة نفسى، فقلت له فاذهب من هذه الدار، فقال ما هو بيدى فقلت له: قل اللهم اقبضنى إن كان الموت خيرا لى، فقالها فمات بعد شهر رحمه الله.

واعلم يا أخى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجعل تكفير الخطايا إلا فى الحج المبرور الذى لا إثم عليه، ومن يترك الصلاة فى الطريق أو يخرجها عن وقتها فهو عاص، لم يبر حجه فلا يكفر عنه حجه خطيئة واحدة، كما ستأتى الإشارة إليه فى الأحاديث، فواظب يا أخى على الصلاة فى الطريق وحرر النية الصالحة وحج واعتمر عند القدرة وإلا خسرت فلوسك ودينك والله يتولى هداك.

أن ننفق فى الحج والعمرة بقدر وسعنا، ولا نتكلف لما فوق مقامنا من الجمال أو المحفة أو المحارة أو مؤونة الأكل أو الحلاوات، خوفا أن يعقبنا ندم لمعاملتنا غير الله مع إظهار أن ذلك لله تعالى ولا نتقرب إلى الله تعالى بشئ تتقبض النفس للإنفاق فيه عاجلا أو آجلا، وإنما اللائق أن ينفق الإنسان ماله فى مرضاة الله وهو منشرح القلب والقالب، وذلك لا يكون إلا إذا أنفق من ماله حسب طاقته، والا فمن لازمه غالبا ارتكابه الدين ودخول الفخر وحب السمعة فى حجه، فإن من أوسع فى النفقة فوق طاقته فالغالب عليه وقوعه فيما ذكرنا لا سيما إن كان شيخا أو علما لا كسب له، فإن الإنسان ربما ساعده بالنفقة حتى الكشاف ومشايخ العرب وغيرهم من الظلمة، إذ لو تبع الحل وتورع لما وجد فى هذا الزمان أجرة ركوبه على الجمل بلا محمل، ولكن والله قد دخل الدخيل فى الأعمال لقلة الناصحين من العلماء والصالحين، فإن من لا ينصح نفسه لا ينصح الناس، ومن يغش نفسه لا يبعد أن يغش الناس، وقد حج صلى الله عليه وسلم على رحل رث يساوى ثلاثة دراهم، ثم قال: اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة.

واعلم يا أخى أن كل من تكلف ودخله الفخر فى حجه فهو إلى الإثم أقرب، فإياك يا أخى وقبول المعونة فى الحج ممن لا يتورع فى مكسبه، كالتجار الذين يبيعون على الظلمة والمساكين ولا يردونهم إذا اشتروا منهم، أو كمشايخ العرب، فإن كسبهم يكاد أن يكون سحت السحت، وكذلك جمالهم يأخذونها من بلادهم من الناس غصبا فى حجة حمول جماعة السلطان، فربما أرسلوا لسيدى الشيخ جملا أو جملين فحج عليها فيذهب غارقا فى المعصية إلى أن يرجع أو يموت منه فى الطريق.

وإنما نبهناك يا أخى على مثل ذلك لعلمى بأن النفس غالبة على كل من لم يسلك الطريق على يد شيخ أو لم تحفه عناية الله تعالى فيدخل أعماله العلل والرياء وحب الشهرة بالكرم أو السخاء فى الطريق، فإن أبى مرة لا يترك مثل هؤلاء يأتون بأعمالهم كاملة بل ولا ناقصة، فيزين لهم أعمالهم ويهون عليهم المساعدة فى الحج بمال الظلمة ولا يكاد أحدهم يسلم له شئ من أعماله وما رأت عينى فى الثلاث سفرات التى سافرتها أحدا حج من العلماء وتورع فى مأكله وملبسه مثل أخى الشيخ الصالح شمس الدين الخطيب الشربينى - المفتى بجامع الأزهر- فسح الله فى أجله، فإنى رأيته لا يقبل من أحد شيئا لنفقة نفسه فى الطريق، ويكرى له جملا لا يكاد يتميز من جمال عرب الشعارة ويصير يمشى عن الجمل فى أكثر الأوقات ليلا ونهارا فيمشى ويتلو القرآن والأوراد، ولا يركب إلا عند التعب الشديد رحمة بالجمل، ثم يحرم مفردا فلا يحل من إحرامه حتى يتحلل أيام منى وأكثر أيامه صائما فى مكة وغيرها، وإن جاءه غداء أو عشاء أطعمه لفقراء مكة وطوى، ولا يمل من الطواف بالبيت ليلا ونهارا، وفى طول الطريق يعلم الناس مناسكهم ولا تكاد تسمع منه كلمة لغو يبدؤك بها فضلا عن كلمة غيبة فى أحد تعريضا أو تصريحا رضى الله عنه، وزاده من فضله، فحج يا أخى مثل هذا الحج والا فلا تحج غير حجة الإسلام.

أن نكثر من التواضع فى الحج، ونلبس ثياب الدون اللائقة بالخدمة فى السفر، ونحرم فى العباية الغليظة دون الخمسينى الرفيع ونحو ذلك مما يفعله التجار وغيرهم، كل ذلك اقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام فعلم أنه لا ينبغى لبس الثياب الرقيقة والفرجيات المحررات التى فيها خطوط حمر وخضر وصفر ونحو ذلك من لباس أهل الرعونات، لأن لثياب الزينة محلا مخصوصا ليس هذا موضعه وقد أجمع أهل الله عز وجل على أن من كان فيه صفة الغنى أو رائحة التكبر لا يدخل حضرة الله تعالى، ولا يحصل له شئ من الإمدادات التى تفرق على أهل تلك الحضرة قال الله تعالى ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ والمتكبر ولابس الثياب الفاخرة فخرا ليس فيه صفة الافتقار ولا مسكنة، إنما فيه صفة الجبابرة فينبغى لمن عادته فى بلده الملابس الفاخرة أن يبيعها كلها ويأخذ له ثيابا تناسب حالة الفقراء والمساكين فى الطريق حتى يرجع من الحج، وربما زاد من تلك الثياب على مائة دينار ثم إن احتاج إلى صرف ثمنها فى مؤونة سفره نفعته وإن استغنى عنها تصدق منها

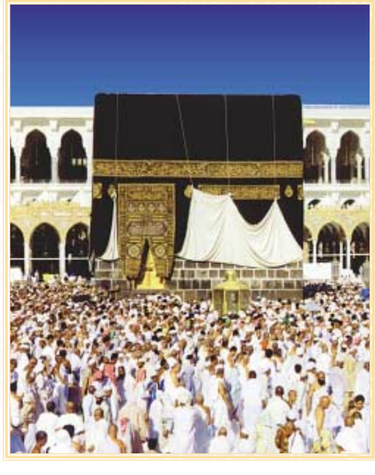

من المتاع ولا ظعن واسفار

صدقة مضاعفا كل درهم يرجح على ألف درهم فى الحضر، فضلا عن ثواب لبس الثياب الفاخرة بقصد إظهار النعمة، وقتا آخر ليس هذا موضعه ولعل إركابه عاجزا مرحلة واحدة أفضل من حجه هو، ولو أن ثيابه الفاخرة كانت معه فى الطريق ربما لا تنفعه لقلة من يشتريها فى السفر، وكذلك ينبغى لمن يحج أن لا يستصحب معه الهدايا من شاشات وأزر وحبر كما يفعل التجار لأن ميزان الحق منصوبة على من ورد تلك الحضرة، ولم يقطع عنه علائق الدنيا بأجمعها ثم إنها ربما تسرق منه فى الطريق، وإن لم تسرق منه نقص بعض رأس ماله فى الدين، وكان الأولى له أن ينفق ثمن تلك الهدايا على فقراء مكة أو يحملها معه لمن عجز فى الطريق عن النفقة، أو عن المشى فينبغى للحاج أن تكون له بصيرة وقد رأيت شخصا من الفقراء أشرف على الموت من الجوع والعطش والتعب، فجاء إلى شخص فى محمل عظيم فقال اسقنى لله، أو ركبنى لله، فقال يفتح الله عليك، فقال اعطنى دينارا أركب به، فقال ما معى شئ، فصدقته لكونه مشهورا بالدين، فرد الفقير وهو يقول فى سبيل الله دورانك فى هذه الجبال، والله للقمة أو شربة ماء لفقير أرجح من طبل خاناتك، ولو أن هذا الراكب فى المحمل كان عنده بصيرة لحسب حساب الفقراء والمساكين وأبقى لهم بقية نفقة، وإلا ركب مقتبا، فإن المحمل مشهورا، ويقصد الناس الراكب فيه، فإن لم يقم بواجبه وإلا فليركب فى شئ مستور، ثم إن راكب ذلك المحمل تخاصم مع زوجته تلك الليلة فسمعته يقول لها: لك معى سبعين بندقيا، قم يا فلان عدها من كيسى فتعجبت من رده ذلك السائل فى وادى النار قبيل الأزلم بمرحلة مما يلى الينبوع، وقد بلغنى أن ذلك الفقير مات تلك الليلة، فمثل هذا حجه إلى الإثم أقرب فإياك أن تتبعه فى مثل ذلك، وإن من الأدب أن لا يبيت المقيم بمكة على دينار ولا درهم وهو يعلم أن فيها جائعا أو محتاجا، وأن لا يخطر على باله مدة إقامته بمكة معصية، وأن لا يمسك طعاما أو شرابا إلا لضرورة فلا بأس بمراجعتها ﴿والله غفور رحيم﴾.

أن نرفع أصواتنا بالتلبية ولا نتعلل بالحياء من الناس كما يفعله بعض الكبراء، فإن ذلك وقت لا يراعى فيه إلا الله عز وجل والمراد بالتلبية إظهار العبودية وإننا أجبنا الداعى لنا إلى الحج ولم نتخلف تهاونا به وقد راعى الشارع صلى الله عليه وسلم رفع الصوت بذلك، ولم يكتف بإذعان قلوبنا كما راعى أفعال الصلوات ولم يكتف بما فى باطننا من الخضوع، وقد قلت مرة لشخص من الأكابر أما ترفع صوتك بالتلبية؟ فقال: أستحى، فما مهدت له دهليزا حتى رفع صوته إلا بعد جهد كبير، وكل هذا من شدة الجفاء وعدم مخالطة أهل الشريعة فارفع صوتك يا أخى والله يتولى هداك.

أن نستعد لوقوف يوم عرفة بتلطيف الكثائف وإزالة الحجب المانعة من قبول الدعاء من الغذاء الحرام والثياب الحرام ووجود دغل أو حقد أو حسد فى القلب لأحد من المسلمين، فإن تلك مواضع ذل وانكسار وبكاء وعويل وأكل الحرام ولبسه يقسى قلب العبد، ومن أعظم دواء لحصول رقة القلب الجوع الشرعى يوم التروية وليلة عرفة، وهذا أمر قل من ينتبه له من الحجاج، فيأكل أحدهم اللحم والطعام حتى يشبع ويطلب رقة قلبه يوم عرفة فلا يقدر، ويريد أن يبكى على ذنوبه فلا يقدر، وقد ورد: القلب القاسى بعيد عن الله ثم بتقدير قربه من الله فهو لا يرجو إجابة دعاءه عقوبة له فلا يستجاب له، لأن الله تعالى عند ظن عبده به ومن ظن بالله أنه لا يجيب دعاءه لم يجبه، ثم مما لا يخفى عليك يا أخى، تحريم رؤيتك نفسك على أحد من الخلق فى عرفات لأنه موقف لا يناسبه إلا الذل والمسكنة، فاعلم يا أخى أنك متى رأيت نفسك على أحد هناك فربما حرمت المغفرة.

أن نبادر لرمى الجمار إيمانا حتى تنكشف لنا حكمتها جهارا، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له: يا رسول الله ما لنا فى رمى الجمار؟ فقال: تجد ذلك عند ربك أحوج ما تكون إليه، لما علم أن السائل لا يتعقل حكمتها، وربما امتحن الحق تعالى عباده فى أمرهم بما لا يتعقلون حكمته كرمى الجمار وتقبيل الحجر الأسود وكإضافته إلى نفسه تعالى ما يحيله العقل بدليله كالنزول إلى سماء الدنيا وغير ذلك من آيات الصفات وأخبارها لينظر كيف يعملون؟ هل يؤمنون بما أضافه الحق تعالى إلى نفسه على ألسنة رسله وإن لم يتعقلوه؟ أم يردون ذلك على الرسل أو يقبلونه، لكن بعد تحريفه بالتأويل عن مواضعه، فيفوتهم الإيمان الكامل كما يقع فيه غالب الناس فيخافون أن يكذبوا الرسل فتضرب أعناقهم، ويخافون أن يقبلوا آيات الصفات على ظاهرها فيقعون فى التشبيه؛ فلذلك رأوا التأويل أحسن عندهم لأنه طريق وسطى بين طريقين، وإنما قلنا فاتهم كمال الإيمان دون فوات الإيمان كله، لأنه لولا آمنوا به ما اشتغلوا بتأويله ولكانوا يرونه لغيرهم، فاعمل يا أخى بأوامر الحق على الوجه المشروع سواء أعقلت معناها أم لم تعقل وسيأتى فى الأحاديث ما يشير إلى الحكمة.

وللشيخ محيى الدين فى باب الحج من الفتوحات ما نصه: إنما كان حصى الرمى سبعا لأن الشيطان يأتى الرامى هناك بسبع خواطر لابد من ذلك فيرمى كل خاطر بحصاة، ومعنى التكبير عند كل حصاة الله أكبر من هذه النسبة التى أتانا بها الشيطان وأطال فى ذلك، ثم قال: فإذا أتاك بخاطر الشبهة بالإمكان للذات فارمه بحصاة الافتقار إلى المرجح، وهو أنه واجب الوجود لنفسه، وإن أتاك بأنه جوهر فارمه بالحصاة الثانية وهو دليل الافتقار إلى التحيز والوجود بالغير، وإن أتاك بخاطر الجسمية فارمه بحصاة الافتقار إلى الأداة والتركيب والإبعاض، وإن أتاك بالعرضية فارمه بحصاة الافتقار إلى المحل والحدوث بعد أن لم يكن، وإن أتاك بالعلية وهى دليل مساواة المعلول له فى الوجود فارمه بالحصاة الخامسة وهى (كان الله ولا شئ معه) وإن أتاك بالطبيعة فارمه بالحصاة السادسة وهى دليل نسبة الكثرة إليه وافتقار كل واحد من آحاد الطبيعة إلى الأمر الآخر فى الاجتماع به إلى إيجاد الأجسام الطبيعية فإن الطبيعة مجموع فاعلين ومفعولين حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة، ولا يصح اجتماعها لذاتها ولا افتراقها لذاتها ولا وجود لها إلا فى عين الحار والبارد والرطب واليابس، وإن أتاك بالعدم وقال لك فإذا لم يكن الحق هذا ولا هذا من جميع ما تقدم فما ثم شئ فارمه بالحصاة السابعة وهى دليل آثاره فى الممكن، ومعلوم أن العدم لا تأثير له، وهو كلام نفيس.

أن نحلق رؤوسنا أو نقصر فى النسك ويكون معظم قصدنا بذلك أن نحصل دعوة النبى صلى الله عليه وسلم لنا بقوله (اللهم اغفر للمحلقين) قال شيخنا: والحكمة فى إزالة الشعر بالحلق أو التقصير أنه شرع لكونه مأخوذا من الشعور، فكان الحلق إشارة إلى زوال الشعور وحصول العلم إذ الشعر حجاب على الرأس.

وقد بسط الشيخ محيى الدين بن العربى فى أسرار الحج كلها فى الفتوحات المكية، فراجعها تر العجب فما رأينا أحدا أبان عنها مثله رضى الله عنه.

أن نكثر من الصلاة فى مسجد مكة والمدينة لما ورد ذلك من الفضل فإن الشارع صلى الله عليه وسلم إنما بين لنا فضل هذين المسجدين لنستغنم الصلاة فيهما مدة إقامتنا هناك، لا سيما إن زادت الصلاة فى الخشوع هناك، كما هو الغالب، فيجتمع للمصلى شرف البقعة وشرف الحضرة وربما يحصل لبعض المصلين الأجر الذى يخرج عن الحصر لكونه جليس الملك وجلساء الملوك لا تحصى مواهبهم فى العادة، أدم فى عهود الصلاة قوله صلى الله عليه وسلم: الصلاة خير موضوع لأن فيها عمل جميع البدن، فيكون معظم عملنا الصلاة والطواف ما عدا المناسك ومهمات الحوائج، وهذا العهد يخل به كثير من التجار الذين يبيعون فى الموسم القماش فلا يهنأ أحدهم بطواف بل ولا بصلاة الجماعة، فيصير فى النهار غافلا وبالليل نائما أو يحسب ما باع به وما اشتراه حتى يرحل الحاج، وقد رأيت ذلك وقع لقاضى المحمل وكان من العلماء لكونه سافر بأحمال قماش، فرأيته طائفا يوما واحدا ورأيته يصلى الصلاة منفردا فنافته خير كثير، فمن أراد من التجار أن يتفرغ للعبادة فليوكل من يبيع له ذلك بشرط أن تكون نفسه غافلة عن الحسابات والربح والخسارة فى الطواف وغيره، فإن من كانت الدنيا أكبر همه هناك حرم الخير، لكون القلب ليس له اشتغال إلا بأمر واحد متى توجه إليه حجب عن غيره، والحكم للأغلب من الأمرين اجتماعها لذاتها ولا افتراقها لذاتها ولا وجود لها إلا فى عين الحار والبارد والرطب واليابس، وإن أتاك بالعدم وقال لك فإذا لم يكن الحق هذا ولا هذا من جميع ما تقدم فما ثم شئ فارمه بالحصاة السابعة وهى دليل آثاره فى الممكن، ومعلوم أن العدم لا تأثير له، وهو كلام نفيس.

أن نحلق رؤوسنا أو نقصر فى النسك ويكون معظم قصدنا بذلك أن نحصل دعوة النبى صلى الله عليه وسلم لنا بقوله (اللهم اغفر للمحلقين) قال شيخنا: والحكمة فى إزالة الشعر بالحلق أو التقصير أنه شرع لكونه مأخوذا من الشعور، فكان الحلق إشارة إلى زوال الشعور وحصول العلم إذ الشعر حجاب على الرأس.

وقد بسط الشيخ محيى الدين بن العربى فى أسرار الحج كلها فى الفتوحات المكية، فراجعها تر العجب فما رأينا أحدا أبان عنها مثله رضى الله عنه.

أن نكثر من الصلاة فى مسجد مكة والمدينة لما ورد ذلك من الفضل فإن الشارع صلى الله عليه وسلم إنما بين لنا فضل هذين المسجدين لنستغنم الصلاة فيهما مدة إقامتنا هناك، لا سيما إن زادت الصلاة فى الخشوع هناك، كما هو الغالب، فيجتمع للمصلى شرف البقعة وشرف الحضرة وربما يحصل لبعض المصلين الأجر الذى يخرج عن الحصر لكونه جليس الملك التطوع مع الحاجة إذا رجعنا إلى أوطاننا، وهذا العهد يخل به كثير من الناس مع القدرة، فيكون عنده من الأمتعة والكتب ما يفضل على مؤونة حجه ذاهبا وراجعا بل يكفيه نفقة سنة أو سنتين بعد الحج ويترك حجة الإسلام ويحتج بخوف السعى على وظائفه، والإنسان على نفسه بصيرة وقد قال تعالى ﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا﴾ يعنى أنهم يأتونك مشاة ولا ينتظرون حصول شئ يركبونه تعظيما وخوفا من تأخير أمر الله عز وجل وقد بلغنا أن الخليل عليه السلام، لما أمره الله تعالى بالختان لم ينتظر الموسى بل بادر بأذن القدوم يعنى الفأس فاختتن بها، فقيل له يا خليل الله هلا طلبت الموسى، فقال إن تأخير أمر الله شديد.

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ صادق يرقيه فى درجات التعظيم لله تعالى حتى يصير فوات الدنيا فى جنب طاعة الله كفوات ذرة من التراب، وفوات ذرة من طاعة الله تعالى أصعب عليه من فوات الدنيا بحذافيرها لو كانت فى يده، ومن لم يسلك الطريق كما ذكرنا فمن لازمه غالبا تقديم أهوية نفسه على مرضاة ربه ﴿والله غفور رحيم﴾.

أن لا نمنع أحدا يستقى من بئرنا ولو عدوا لا سيما إن كان عطشانا فى طريق الحج، ولا نمنع دوابه من الماء والكلأ رحمة بعدونا وبالبهائم فنجئ نحن وبهائمنا مع عدونا لئلا يموت معهم عملا بأوامر الشارع صلى الله عليه وسلم لنا، بأن نحب للمسلمين ما نحب لأنفسنا وخوفا من غضب الحق تعالى علينا يوم القيامة، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلكه ويخرج به من حضرات رعونات النفس حتى يصير يحب الخير لكل مسلم ولو من أعدائه فضلا عن غيرهم، ويصير يتأسف على كل خير فاته، وهذا العهد يقع فى خيانته كثير من الفقراء الذين تزورهم الأمراء فيفتحون على ذلك الأمير باب الكلام الذى ليس لذلك الأمير به حاجة كقوله له: كان فلان الأمير عندنا البارحة أو الباشا زارنا أمس أو قاضى العسكر أو أعطانى الباشا حصانا مليحا ونحو ذلك، وهذا دليل على أن ذلك الشيخ دنياوى دق المطرقة لاستعزازه بالخلق، وربما طول الشيخ الكلام على ذلك الأمير فيقول للشيخ وهو فى وسط الكلام اقرءوا الفاتحة يا سيدى الشيخ فيكلح الشيخ فيصير دعاؤه خداجا من قلة اعتقاد الأمير فى الشيخ، ولكثرة ما وقع فيه من اللغو والهذيانات، فاعلم أن من الأدب الكف عن مثل ذلك ﴿والله غفور رحيم﴾.

من علوم الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني - 39

٢١- (ومن الأولياء أيضاً الساجدون من رجال ونساء رضي الله عنهم)

تولاهم الله بسجود القلوب فهم لا يرفعون رؤوسهم لا في الدنيا ولا في الآخرة وهو حال القربة وصفة المقربين، ولا يكون السجود إلا عن تجلٍ وشهود ولهذا قال تعالى ﴿واسجد واقترب﴾ يعني اقتراب كرامة وبر وتحف كما يقول الملك للرجل إذا دخل عليه فحياه بالسجود له بين يديه فيقول له الملك: ادنه ادنه حتى ينتهي منه حيث يريد من القربة. فهذا معنى قوله تعالى ﴿واقترب﴾ في حال السجود إعلاماً بأنه قد شاهد من سجد له وأنه بين يديه، هو يقول له اقترب ليضاعف له القربة كما قال تعالى في الحديث القدسي: (من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً). فإذا كان اقتراب العبد عن أمر إلهي كان أعظم وأتم في بره وإكرامه لأنه ممتثل أمر سيده على الكشف. فهذا هو سجود العارفين الذين أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يطهر بيته له ولأمثالهم. فقال عز من قائل ﴿وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾.

٢٢- (ومن الأولياء أيضاً الآمرون بالمعروف من رجال ونساء رضي الله عنهم) تولاهم الله بالأمر بالمعروف إذا كان هو المعروف فلا فرق بين أن تقول الآمرون بالمعروف أو الآمرون بالله، لأنه سبحانه هو المعروف الذي لا ينكر قال تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ مع كونهم مشركين وقالوا ﴿وما نعبدهم﴾ يعني الآلهة ﴿إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ وهو المعروف عندهم بلا خلاف في ذلك في جميع النحل والملل والعقول. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عروف نفسه فقد عرف ربه) فهو المعروف، فمن أمر به فقد أمر بالمعروف فهؤلاء هم الطبقة العليا في الأمر بالمعروف وكل آمر بمعروف فهو تحت حيطة هذا الأمر فاعلم ذلك.

٢٣- (ومن الأولياء أيضاً الناهون عن المنكر من رجال ونساء رضي الله عنهم) تولاهم الله بالنهي عن المنكر. والمنكر الشريك الذي أثبته المشركون بجهلهم فلم يقبله التوحيد العرفاني الإلهي وأنكره فصار منكراً من القول وزوراً فلم يكن ثم شريك له عين أصلاً.

٢٤- (ومن الأولياء أيضاً الحكماء من رجال ونساء رضي الله عنهم) تولاهم الله بالحلم وهو ترك الأخذ بالجريمة في الحال مع القدرة على ذلك فلم يعجل فإن العجلة بالأخذ عقيب الجريمة دليل على الضجر فالحليم هو الذي لا يعمل مع القدرة وارتفاع المانع.

٢٥- (ومن الأولياء أيضاً الأواهون من رجال ونساء رضي الله عنهم) قال سيدي محيي الدين رضي الله عنه: لقيت منهم امرأة بمرشانة الزيتون من بلاد الأندلس تدعى ياسمين مسنة تولي الله هذا الصنف بالتأوه مما يجدونه في صدورهم أشى الله تعالى على خليله إبراهيم عليه السلام بذلك بقوله ﴿إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾ والأواه الحليم فتأوه لما رأى من عبادة قومه ما نحتوه وقد حلم فلم يعجل بأخذهم على ذلك مع قدرته عليهم بالدعاء عليهم ولهذا سمي حليماً وكان يُرجى لهم الإيمان فيما بعد فهذا سبب حلمه فلو علم من قومه ما علم نوح عليه السلام حيث قال ﴿ولا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً﴾ ما حلم عنهم.

٢٦- (ومن الأولياء أيضاً الأجناد الإلهيون الذين لهم الغلبة على الأعداء من رجال ونساء رضي الله عنهم) قال تعالى ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ وعدة هؤلاء الجند التقوى والمراقبة والحياء والخشية والصبر والافتقار، منهم أهل علم وإيمان يكون عنه خرق عوائد، يكون لهم ذلك مَقَامَ الأدلة للعالِمِ فيدفعون بخرق العوائد أعداء الله وأعداءهم كما يدفعه صاحب الدليل، فمثل هذه الطبقة هم المسلمون جنداً. وأما المؤمنون الذين ليس عندهم خرقٌ عادةٍ لدفع عدو فليسوا بأجناد، وإن كانوا مؤمنين. والجامع لمعرفة هذه الطبقة أنَّ كلَّ شخص يقدر على دفع عدو بآلة تكون عنده فهو من جنده سبحانه وتعالى الذين لهم الغلبة والقهر وهو التأييد الإلهي الذي يقع به ظهورُهم على الأعداء. قال تعالى ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾.

٢٧- (ومن الأولياء أيضاً الأخيار من رجال ونساء رضي الله عنهم) قال الله تعالى ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ تولاهم الله بالخيرة قال تعالى ﴿أولئك لهم الخيرات﴾ جمع خيرة وهي الفاضلة من كل شيء. فالأخيار كل من زاد على جميع الأجناس بأمر لا يوجد في غير جنسه من العلم بالله تعالى على طريق خاص لا يحصل إلا لأهل ذلك الجنس.

٢٨- (ومن الأولياء أيضاً الأوابون من رجال ونساء رضي الله عنهم) تولاهم الله بالأوبة في أحوالهم قال تعالى ﴿إنه كان للأوابين غفوراً﴾ فالأواب: الرجّاع إلى الله تعالى من كل ناحية من الأربع التي يأتي منها إبليس إلى الإنسان، من ناحية أيديهم، ومن خلفهم، وعن إيمانهم، وعن شمائلهم، فهم يرجعون في ذلك كله إلى الله تعالى أولاً وآخراً.

٢٩- (ومن الأولياء أيضاً المخبتون من رجال ونساء رضي الله عنهم) تولاهم الله بالإخبات وهو الطمأنينة قال إبراهيم عليه السلام ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ أي ليسكن، والخبت المطمئن من الأرض، فالذين اطمأنوا بالله من عباده وسكنت قلوبهم اطمأنوا إليه سبحانه فيه وتواضعوا تحت اسمه رفيع الدرجات وذلوا لعزته وأولئك هم المخبتون الذين أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه أن يبشرهم فقال له ﴿وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ فهذه صفات المخبتين.

٣٠- (ومن الأولياء أيضاً المنيبون إلى الله تعالى من رجال ونساء رضي الله عنهم) تولاهم الله بالإنابة إليه سبحانه، قال تعالى ﴿إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾ فالرجال المنيبون هم الذين رجعوا إلى الله من كل شيء، أمرهم الله بالرجوع عنه مع شهودهم في حالهم أنهم نواب عن الله تعالى في رجوعهم.

٣١- (ومن الأولياء أيضاً المبصرون من رجال ونساء رضي الله عنهم) تولاهم الله بالإبصار وهو من صفات خصائص المتقين قال تعالى ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾.

٣٢- (ومن الأولياء أيضاً المهاجرون والمهاجرات رضي الله عنهم) تولاهم الله بالهجرة بأن ألهمهم إياها ووفقهم لها، قال الله تعالى ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ فالمهاجر من ترك ما أمره الله ورسوله بتركه.

٣٣- (ومن الأولياء أيضاً المشفقون من رجال ونساء رضي الله عنهم) تولاهم الله بالإشفاق من خشية ربهم قال تعالى ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ يقال: أشفقت منه فأنا مشفق إذا حذرته قال تعالى ﴿من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون﴾ أي حذرون من عذاب ربهم غير آمنين وقوعه بهم، فالمشفقون من الأولياء من خاف على نفسه من التبديل والتحويل فإن أمنه الله بالبشرى رجع إشفاقه على خلق الله مثل اشفاق المرسلين على أممهم.

٣٤- (ومن الأولياء أيضاً الموفون بعهد الله من رجال ونساء رضي الله عنهم) تولاهم الله بوفاء العهد قال تعالى ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ وقال سبحانه ﴿والذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾ وهم الذين لا يغدرون إذا عاهدوا، فالوفاء من شيم خاصة أهل الله فمن أتى في أموره التي كلفه الله أن يأتي بها على التمام أو كثر ذلك في حالاته كلها، فهو وفيّ وقد قال تعالى ﴿وإبراهيم الذي وفّى﴾ وقال تعالى ﴿ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾ وهم أهل إشراف على الأسرار الإلهية المخزونة ويقال أوفى على الشيء إذا أشرف فمن كان بهذه المثابة من الوفاء بما كلفه الله وأشرف على ما اختزنه الله من المعارف عن أكثر عباده فذلك هو الوفي.

٣٥- (ومن الأولياء أيضاً الواصلون ما أمر الله به أن يوصل من رجال ونساء رضي الله عنهم) تولاهم الله تعالى بالتوفيق بالصلة لمن أمر الله به أن يوصل، قال تعالى ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ يعني صلة الأرحام وأن يصلوا من قطعهم من المؤمنين بما أمكنهم من السلام عليهم فما فوق من الإحسان ولا يؤاخذون بالجريمة التي لهم الصفح عنها والتغافل، ولا يقطعون أحداً من خلق الله إلا من أمرهم الحق بقطعه فيقطعونه معتقدين قطع الصفة لا قطع ذواتهم.

٣٦- (ومن الأولياء أيضاً الخائفون من رجال ونساء رضي الله عنهم) تولاهم الله تعالى بالخوف منه أو مما خوفهم منه امتثالاً لأمره فقال ﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ وأثنى عليهم بأنهم ﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ فإذا خافوا التحقوا بالملأ الأعلى في هذه الصفة فإنه تعالى قال فيهم ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾.

٣٧- (ومن الأولياء أيضاً المعرضون عمن أمرهم الله بالإعراض عنه) من رجال ونساء رضي الله عنهم) تولاهم الله بالإعراض عنهم، قال تعالى ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ وقال تعالى ﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا﴾.

٣٨- (ومن الأولياء أيضاً الكرماء من رجال ونساء رضي الله عنهم) تولاهم الله بكرم النفوس فقال تعالى ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾ أي لم ينظروا لما أسقط الله النظر إليه فلم يتدنسوا بشيء منه فمروا به غير ملتفتين إليه كراماً، فما أثر فيهم. هذا ما أردت نقله من الفتوحات المكية، وهو آخر المقدمة والحمد لله رب العالمين.

أفهموا وتفقهوا

الحج لغة هو القصد إلى معظم، وشرعا قصد مكة المشرفة للنسك، وحقيقته حضور المار أو الجالس أو المضطجع بعرفة ساعة زمنية ولو كانت بمقدار الجلسة بين السجدتين من ليلة يوم النحر، وطواف بالبيت سبعا، وسعى بين الصفا والمروة سبعا بإحرام.

أما العمرة لغة فهى الزيارة، وشرعا زيارة البيت الحرام على وجه مخصوص.

وحكمهما، فحكم الحج فرض على الفور فى العمر مرة إذا توافرت الشروط المطلوبة، فإن أخره المكلف عن أول عام استطاع فيه يكون آثما بالتأخير ودليل فرضيته القرآن والسنة والإجماع فمن القرآن قوله تعالى ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾ ومن السنة حديث ابن عمر رضى اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم (بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان) ولا يجب الحج بأ صل الشرع إلا مرة واحدة لحديث أبى بكر رضى اللَّه عنه قال: خطبنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فقال: أيها الناس قد فرض اللَّه عليكم الحج فحجوا. فقال رجل: أكل عام يا رسول اللَّه؟ فسكت حتى قالها الرجل ثلاثا فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم. وقد أجمعت الأمة على أن الحج فرض على كل مستطيع فى العمر مرة واحدة، ولم يحج رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم إلا مرة واحدة وهى حجة الوداع فى السنة العاشرة للهجرة، وقد فرض الحج فى السنة السابعة للهجرة وقيل: فى العاشرة.

شروط الحج:

الحرية: فلا يجب الحج (ولا تسن العمرة) على الرقيق ولو بشائبة الحرية.

البلوغ: فلا يجب الحج على الصبى الذى لم يبلغ الحلم لحديث ابن عباس رضى اللَّه عنهما عن النبى صلى اللَّه عليه وسلم قال: أ يما صبى حج ثم بلغ الحنث فعليه أن يحج حجة أخرى.

العقل: فلا يجب الحج على المجنون كما لا يصح منه.

الاستطاعة: فلا يجب الحج على غير المستطيع لقوله تعالى ﴿وللَّه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾

وتفسير الاستطاعة بما يلى:

– امكان الوصول إلى مكة ومواضع النسك والرجوع إلى الوطن سواء كان ماشيا أو راكبا برا أو بحرا، امكانا عاديا بلا مشقة فادحة، أما المشقة العادية فلابد منها فى السفر، إذ السفر قطعة من العذاب.

– الأمن على النفس والمال، فلو لم يأمن فلا يجب عليه الحج.

على المذهب المالكى

إشراف محمد الحسن ود الفكى

نفحات من حديث الإمام

الطريقة والعولمة الثقافية واستخدام التقنية الحديثة

نحن فى وقت أكثر ما يكون فيه العالم بمجتمعاته وشعوبه احتياجا للطريقة وعلومها وتربيتها بعد أن انسدت أمام الناس كافة السبل للخلاص والوصول للحقيقة، فأصبح العالم حائرا عاجزا وهنا تبدو جليا مهمة الطريقة البرهانية فى المرحلة القادمة كبوابة للنجاة وسبيل للترقى ومعرفة الحقيقة، وإذا كانت المرحلة السابقة قد شهدت إرساء الأساس وبذر البذور فإن المرحلة القادمة هى مرحلة ارتفاع البنيان ونبت الزرع، ليشهد العالم حقا لا جدالا على عظمة هذا الدين وعظمة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

بهذه الكلمات افتتح مولانا الشيخ إبراهيم رضى الله عنه مرحلة بل مراحل لدخول الطريقة عصر العولمة واستخدام التقنيات الحديثة، وأشار رضى الله عنه بإعداد أنفسنا حيث ضخامة المسئولية وطبيعة العمل لأنه يرتبط بكافة بقاع العالم وأن هذا العمل سيكون بالغ التعقيد إذا تم فى ظل عدم التنظيم وعدم الانسجام والصفا والاختلاف والتنازع والهوى وحب النفس وحب الزعامة، ثم أوصى رضى الله عنه بعدة نقاط لدخولنا هذا العصر منها:

العمل وفقا لخطط استراتيجية علمية واضحة المعالم تراعى البيئة الدولية والتطور التكنولوجى الذى يشهده العالم، ضرورة الالتزام بالعمل وفقا لنظام علمى تكون بغيته تربية الإنسان فى المقام الأول، الاهتمام بشدة بخلق قنوات اتصال سريعة بين الزوايا فى مختلف الأقاليم ومدن العالم مع مقر الطريقة وبين بعضها البعض والعمل على اللحاق بركب التقدم التكنولوجى فى هذا المجال، العمل على خلق روح الانسجام بيننا وعدم السماح لأى أهواء تعطل مسيرة ركب الصفا والعمل على نشر أهمية الصفا وعدم الاختلاف والتنازع كعامل غاية فى الأهمية لتحقيق الفلاح لأعمالنا ويذكرنا رضى الله عنه بقوله تعالى فى هذا الخصوص ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا﴾ وقول مولانا الشيخ محمد عثمان عبده رضى الله عنه:

باب التنازع إن طرقتم تفشلوا — هذا كلامى فاجعلوه إزارا

ولم ينه رضى الله عنه حديثه عند هذا الحد فحسب بل يشرق علينا بوجهه الكريم ليلوح لنا بالبشائر وليسجل لنا أروع صفحة فى صفحات التاريخ حيث ابتدأ كلمته قائلا:

«إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما» لعل كلامى هذا يجسد ضربة البداية للانطلاق نحو آفاق المستقبل للانطلاق فى مهمتنا التاريخية فى الحوار مع العالم وإرشاد الأمة وهى فترة طالما انتظرها الناس وهاهى البشريات قد لاحت:

ولا تنتهى الدنيا ولا أيامها — حتى تعم المشرقين طريقتى

وقد تم ربط معظم زوايانا المنتشرة فى بقاع العالم عبر شبكة الإنترنت وسوف تشهد الفترة المقبلة ربط باقى الزوايا بإذن الله تعالى وما هذا فى حد ذاته إلا الأساس ويتبقى الجهد الأعظم بمشاركتكم جميعا كل حسب طاقته فى مجاله وخبرته، ثم أشار رضى الله عنه إلى أن هذا النظام سيخرج ليس لنا فحسب ولكن للعالم أجمع علوم المشايخ الكرام التى سيكون لها أكبر أثر فى هداية العالم والتى ظلت بعيدة عن متناول العالم، حيث قال رضى الله عنه: ولعل أهم ما فى هذه المرحلة هو إعداد وتجهيز علوم مشايخنا رضوان الله عليهم تلك العلوم الراقية التى طالما ظلت حبيسة الأدراج، لنبدأ مرحلة الإبحار فى هذه العلوم.

هذه دولتنا قد حضرت — دولة العز وكنز الفرح

وعلوم سيدى إبراهيم الدسوقى برهان الملة والدين أبا العينين الذى لقبه بهما المصطفى صلى الله عليه وسلم فهما عيناه على هداية الخلق وهدى القلوب التى لم تر الله خالقا كما قال سيدى فخر الدين رضى الله عنه:

دخلت قلوبا لم تر الله خالقا — فصارت بفضل الله من أهل وحدتى

ثم أشار رضى الله عنه إلى المسئولية الملقاة على عاتق الطريقة وما يجب على الفئة العاملة فى هذا المجال تجاه دين المصطفى صلى الله عليه وسلم هذا الدين العظيم الذى لا يقبل الله خدمته إلا من ارتضاه لهذا الشرف الرفيع. وإذا كان الله لا يقبل لخدمة دينه إلا طيبى الأنفس والأرواح فإنه جدير بنا أن نرجع إلى أنفسنا وننتبه إلى ضرورة التخلق بأخلاق مشايخنا، تلك الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة وإشاعة الصفاء والمحبة والسمو عن الخلافات الجانبية والشخصية الضيقة لأن مقبل الأيام وطبيعة المرحلة القادمة لا تتحمل ذلك وينبغى أن يتم ذلك من باب الأدب الرفيع تجاه المصطفى صلى الله عليه وسلم وخدمة دينه، فلا يجدر بنا أن نتوقع خدمة هذا الدين ونحن نحمل صفات غير حميدة، كيف ذلك ونحن الذين أنيط بنا أن نحمل للعالم رسالة المحبة والصفاء كما قال سيدى فخر الدين رضى الله عنه:

تصافحوا بل أميطوا السوء بينكم — بقربة الـود لا قربى القرابين

وغاية القصد حسن القصد لا عوج — ووحدة الصف عندى عمدة الدين

إذا اجتمعتم على حب ومرحمة — فأيقنوا الوصل إن الله معطيني

ولا تميلوا فإن الزيغ مهلكة — فقدوتى سيدى شيخ المساكين

محمد سيد أحمد

الفتوة

الفتوة لغة معناها الشماء والكرم وعند أهل الحقيقة هى إيثار الخلق بنفسك، وقيل هى الصفا والوفاء وهى أن تضع المعروف فى أهله وغير أهله، وقيل هى الصفح عن عثرات الإخوان وستر عيوبهم، وقيل الغنى من كسر الصنم الأكبر وهو النفس، وقال عز وجل ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾.

وهى على قسمين: فتوة الخواص وهذا مابيناه، وفتوة العوام هى أن لا تربح على صديقك.

ومطلق الفتوة هى للنبى صلى الله عليه وسلم يقول أمتى أمتى، وقيل أصل الفتوة الإيمان ولهذا سمى الله تعالى أصحاب الكهف فتية قال سبحانه ﴿فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ وكلمة فتى وردت فى القرآن ست مرات مذكرة ومؤنثة ومفردة وجمعا، وقد وصف الحق سبحانه سيدنا إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلاة والسلام بأنه فتى كما وصف بها أصحاب الكهف، فهى كلمة تدل على الشجاعة فى الحق، شجاعة نبى الله الذى كسر الأصنام وشجاعة الفتية المؤمنين الذين قاطعوا الكفر وهاجروا إلى الله، كما وصف بالفتوة فى سائر الآيات أهل الخدمة، وأشرفهم فتى سيدنا موسى عليه السلام وهو يوشع، الذى يدفع المؤمن الاستعلاء على الطاغوت فيكسر الأصنام ويبذل روحه فى سبيل الله، وإلى جانب هذا يقصد بها الرفق بالمؤمنين وخدمتهم وتوطئة الكنف لهم، والفتيان هم الجامعون بين صفتى الشجاعة والتواضع، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يبذلون أنفسهم فداء لدين الله لأنها أرخص من أن يساوموا بها، ويبذلون مالهم ووقتهم للمسلمين خدمة ومواساة، ولذلك كنى سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه بأبوالفتيان، فالفتى الحق من يكسر الأصنام ويستهين بنفسه ثمنا لإبطال الباطل وإحقاق الحق، فالفتوة هنا هى الشجاعة لهدم الباطل، كما فعل نبى الله ابراهيم عليه السلام.

أما فتوة البناء فتريد صبرا وخلقا حسنا، فى مجتمعات منحلة ينادى المؤمنون بها لإعادة بناء الأمة، ولا تبنى على الشح والأنانية والأثرة، وهى من أمراضنا الدنيوية، إنما تبنى على خلق جميل، فنجد نموذجه الكامل فى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم حينما قالت له أمنا السيدة خديجة رضى الله عنها حين رجع فزعا من الوحى –وهى أعرف الناس بسجاياه– كلا والله لا يخزيك الله أبدا! إنك لتصل الرحم وتحمل الكل (وهو من لا دابة له، فهو عاجز عن السفر) وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق (أى تساعد كل محتاج وكل من طرأ عليه طارئ) رواه الشيخان وغيرهما وفى رواية أخرى: وتصدق الحديث وفى أخرى: وتؤدى الأمانة، فالفتى يحمل ويصل ويجمع ويفدى إخوته، وليس الفتى من هذه الإبل المائة التى لا تكاد تجد فيها راحلة بل هو حامل ثقل الجماعة، ثم لا يمن على إخوته عطاءه فيفسد عمله، قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ فمن كان يقدم لإخوته خدمات ثم يذكرها ما شم من خصلة البذل رائحة، وقولك فى معرض الحديث بدون حاجة (فعلت لفلان كذا) مما يبطل الأعمال عند الله، روى الإمام أحمد والإمام مسلم وأصحاب السنن عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم –قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات– قال أبو ذر: خابوا وخسروا! من هم يا رسول الله؟ قال: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف) والمسبل إزاره هو الذى يطول ثوبه يستكبر على الناس، وهذا ليس من صفات المؤمن، والمنان من صفته أن يعطى ويذكر عطاءه أمام الناس للفخر، والثالث الذى يغش فيكذب ويحلف ليبيع سلعته.

فالفتى يخدم إخوانه، وقد أتى الله النبوة عبده يوشع بعد أن شرفه بخدمة رسوله موسى عليهما السلام، وفيما ذكر الواقدى أن وفد بنى سعد هذيم بعد أن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعث إليهم رسول الله فى رحالهم، فجاءوه ومعهم أصغرهم، وكان لم يحضر البيعة لأنهم خلفوه فى الرحال، فتقدم الصغير وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، فقلنا يا رسول الله إنه أصغرنا وإنه خادمنا! فقال: أصغر القوم خادمهم بارك الله عليه، قال: وكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن.

فمن سيدنا أنس رضى الله عنه قال: خرجت مع جرير بن عبد الله البجلى فى سفر، فكان يخدمنى، فقلت له: لا تفعل! فقال: إنى قد رأيت الأنصار تصنع برسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا (أى تخدمه وتتصره) آليت ألا أصحب أحدا منهم إلا خدمته، وهكذا جند الله فى كل عصر يسارعون لخدمة الإسلام وخدمة من يخدم الإسلام.

محمد رشاد حسين

بالحقائق ناطقين

الإنفاق

(كل يوم تطلع فيه الشمس ينادى ملكا اللهم اعط منفقا خلفا اللهم اعط ممسكا تلفا) هذا قول الحبيب المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه فى المنفق وقال أيضا (إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما فى العمر ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحذور) وقيل أن الصدقة من أربعة أحرف: فالصاد تصون صاحبها من مكاره الدنيا والآخرة، والدال دليل على طريق الجنة عند تحير الخلق، والقاف قربة تقرب صاحبها إلى الله تعالى، والهاء هداية يهدى الله صاحبها إلى رضوان الله الأكبر، وقد ورد فى الأثر عن عكرمة قال: كان فى بنى إسرائيل رجل غنى ينفق ماله فى الله وكان له زوجة وولدا، ولما توفى هذا الرجل تصدقت الزوجة بماله كله ولم تبق إلا مائتى درهم لولدها، فلما شب الغلام وعرف أن أباه كان من خيار بنى إسرائيل، سأل أمه عن مال أبيه؟ فقالت له: يا ولدى كان أباك منفقا ولما مات تصدقت بماله كله وأبقيت لك مائتى درهم، فأخذها الغلام ومضى لينفقها فى سبيل الله، فمر بميت عريان طريح الأرض، فاشترى له كفنا بمائة وثمانون درهما وكفنه وواراه التراب وبقى معه عشرون درهما، وهو بالطريق قابله رجل وسأله أين أنت ذاهب يا غلام؟ فقال الغلام: أبتغى وجه الله، فقال له الرجل: هل أدلك على شئ تصيب به وجه الله وتجمل لى فيه النصف؟ فقال الغلام نعم، فقال له الرجل انطلق إلى هذه المدينة ستجد فيها امرأة ومعها سنور تبيعه فاشتريه منها ثم اذبحه ثم احرقه بالنار ثم اجمع رماده وادخل به المدينة الأخرى، فإن فيها ملكا قد ذهب بصره، فكحله بهذا الرماد يرجع إليه بصره بإذن الله، وبالفعل دخل الغلام المدينة حتى وصل إلى الملك الضرير، فأمر الملك بالغلام أن يذهبوا به إلى وادى الكحالين، فلما ذهبوا به، نظر فى وادى الكحالين فوجد جميع الكحالين قد قتلوا، فعرف مصيره إذا لم يبصر الملك، ولم يخف الغلام بل أصر على أن يكحل الملك، فلما كحله ارتد إليه بصره، فقال الملك إنى أزوجك ابنتى وأعطاه مالا وفيرا، ومكث الغلام فترة ثم أراد أن يزور أمه فأخذ زوجته وماله لزيارتها، وهو فى الطريق قابله الرجل الذى دله على هذه المدينة وقال له أما تعرفنى؟ فقال الغلام: لا، فقال الرجل: أنا كذا وكذا وأخبره بقصته، فقاسمه الغلام كل شئ معه، ثم قال الرجل: بقى شئ، فقال الغلام وماهو؟ فقال الرجل: زوجتك، فقال الغلام وكيف تصنع؟ فقال الرجل: ننشرها، فأتى الغلام بمنشار ووضعه على رأس زوجته، فصاح فيه الرجل قائلا: قف فإنى ملك من الله إليك حفظك الله حيث حفظت عهد أبيك.

محمد سيد أحمد

مع إمام أهل السنة والجماعة فى محنته

لقد قدر الله لذلك الإمام الجليل أن يمتحن فى دينه أبلغ المحن، وأن يكوى جلده بالسياط وأن يساق مقيدا مغلولا يثقله الحديد، لا لشئ سوى أنه رفض أن يخوض فيه مما كان يخوض فيه المأمون ومن حوله من العلماء، لقد جاء فى كتاب المقفى للمقريزى أن الإمام الشافعى رضى الله عنه وهو فى مصر، رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فأخبره أن المحنة ستكون وأن الإمام أحمد بن حنبل سيمتحن.

ويقول الربيع بن سليمان: فكتب الشافعى كتابا وختمه، ثم قال لى يا أبا سليمان انحدر بكتابى هذا إلى الإمام أحمد تقرأه، فحملت الكتاب إلى العراق ووجدت الإمام أحمد يصلى ركعتى الفجر فلما انتهى من الصلاة قدمت له الكتاب فمرقنى وقرأه ولما جاء عند موضع فيه بكى، فقلت له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال لى: الشافعى يذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشره أنى سأمتحن!!! وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى أن يحقق ذلك قريبا، فقلت للإمام: هذه بشرى فأين جائزتى؟ فخلع الإمام أحمد ثوبه الذى يلى جلده وأعطاه لى، فلما رجعت إلى مصر رويت ما حدث للإمام الشافعى فوجدت الشافعى يتمنى لو ظفر بثوب الإمام أحمد، وكانت هذه الرؤيا قبل أن تقع المحنة بسنوات، ولقد فعلت فى نفس الإمام أحمد فعل السحر كما فعلت رؤيا أخرى رآها هو بنفسه وحكاها لنا ابن عمه نبل بن إسحاق بن حنبل فقال: رأيت فى المنام صديقا اسمه على بن عاصم واستبشر الإمام بهذه الرؤيا الثانية استبشارا كبيرا وقال: إن عليا -فى الرؤيا- تفيد علو المنزلة وعاصما تفيد العصمة فى الفتنة، ولذلك هش الإمام أحمد وبش لهاتين الرؤيتين العظيمتين واستعد نفسيا وعقليا للنزال والنضال، ثم بدأت المحنة عام ٢١٨هـ بورود كتاب المأمون على عامله فى بغداد بأن يجمع العلماء من قضاة وخطباء ويسألهم عن القرآن، فمن لم يقل بأنه مخلوق عزله، وامتثل الوالى لأمر الخليفة، فجمع العلماء فأقروا جميعا بخلق القرآن إلا أربعة منهم، فلجأ معهم إلى الشدة وأمر بوضعهم فى الحديد وإثقالهم بقيود الحديد، فوافق اثنان، وبقى اثنان هما الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح، فأمر المأمون بحملهما إليه، فشدهما الوالى فى الحديد وبعثهما إليه، وهما فى الطريق توفى المأمون قبل أن يصلوا إليه، وهو بالرقة، كما توفى أيضا ابن نوح أثناء الطريق.

فبقى الإمام أحمد رضى الله عنه وحده، وهكذا اختصرت فيه جبهة المحدثين الضخمة، وانصبت الأضواء عليه واتجهت الأنظار إليه وتعلق نصر الجبهة بثباته، فإن هو انهزم انهارت جبهة المحدثين وتمت الغلبة للمعتزلة، وتولى المعتصم خلافة المسلمين وكان رجلا قوى الجسم يستطيع أن يصارع أسدا ولكنه كان ضعيف العلم لا يستطيع أن يناظر أحدا، وكان يجل أخاه المأمون ويراه مثله الأعلى، فسار على طريقته، ولبث الإمام أحمد فى السجن وبلغ به الضعف كل مبلغ، ومع ذلك فقد كان دائم العبادة، حاضرا مع الله، وكان يصلى بأهل الحبس وعليه القيد، فكان يخرج رجله من حلقة القيد، وقتى الصلاة والنوم، وبعث المعتصم علماءه وقواده يناظرونه، فرفض الدخول فى المناظرة وأبى إلا الموافقة بدليل من كتاب الله أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحملوه إلى حضرة المعتصم، وجرت المناقشة أمامه، فكان يصر على هذا الرد ويقول: أعطونى شيئا من كتاب الله أو من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وجربوا معه أنواع الترغيب بالعطايا والمناصب، وأنواع الترهيب بالتعذيب الشديد، فلم يؤثر ذلك فيه أثرا، ويعتوا إليه بالعلماء يأتونه من باب التقى، فكان يقول لهم: إن الذين من قبلنا كانوا ينشرون بالمنشار فلا يرجعون، وقد ظهر منه مرة أنه لا يخاف السجن ولكن يخاف الضرب، ويخشى ألا يحتمل فيهرقم، فقال له أحد اللصوص وكان معه فى السجن، أنا ضربت عشرين مرة، وبيلغ مجموعها آلاف الأسواط فاحتملتها فى سبيل الدنيا، وأنت تخاف أسواطا فى سبيل الله، إنما هما سوطان أو ثلاثة فلا تحس شيئا، فهون ذلك عليه، فلما عجز المعتصم نصب له آلة التعذيب ومده عليها وضربوه، فانخلعت كتفه من الضربة الأولى وانبثق من ظهره الدم، فقام إليه المعتصم يقول: يا أحمد قل هذه الكلمة وأنا أفك عنك بيدى وأعطيك كذا وكذا، ورد الإمام رضى الله تبارك وتعالى عنه بنفس قوله: هاتوا آية أو حديثا، فقال المعتصم للجلاد: شد قطع الله يدك، فضربه أخرى فتناثر لحمه، وعندها قال المعتصم: لماذا تقتل نفسك فمن من أصحابك فعل هذا؟ وقال له أحد العلماء وهو المروزى: ألم يقل الله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ فقال الإمام أحمد رضى الله عنه: يا مروزى انظر أى شئ وراء الباب، فخرج إلى صحن القصر فإذا بجمع لا يحصيهم إلا الله ومعهم الدفاتر والأقلام، فقال لهم: أى شئ تطلبون؟ فقالوا: ننظر ما يجيب به الإمام أحمد فتكتبه، فلما رجع المروزى، قال الإمام أحمد: يا مروزى أنا أضل هؤلاء جميعا؟ أقتل نفسى ولا أضل هؤلاء!!! فلما عجز المعتصم قال للجلادين: اضربوا وشدوا، فكان يجئ الواحد فيضربه السوطين ثم ينتحى ويأتى الآخر حتى غطى الدم ظهره كله وانقطعت تكة سراويله فكادت تسقط وتنكشف عورته، ورآه الناس يحرك شفتيه فتقف السراويل مكانها، وسألوه بعد بما كان يحرك شفتيه، فقال: قلت: يا رب إن كنت تعلم أنى على الحق فلا تهتك لى سترا، حتى أشرف على الموت، وخاف المعتصم أن يثور الناس إن مات، فرفع عنه الضرب وسلمه لأهله، بعدما لبث فى السجن والقيود ما يقرب من ثمانية وعشرين شهرا، وأرادوا أن يسقوه شيئا فأبى أن يفطر وهو فيما هو فيه من الهول كل صائم، ولم يخرج حتى أعلن أنه سامح المعتصم وكل من حضر ضربه، وقد بقى أثر الضرب فيه وبقيت كتفه مخلوعة حتى مات، على أن المحنة لم ترفع تماما إلا أيام المتوكل، وكانت محنة حقا، دامت نحوا من أربعة عشر سنة، تراخى عنه العذاب والتنكيل والاضطهاد فى نصفها واستمر فى سائرها، وخرج الإمام أحمد من هذه المحنة خروج السيف من الجلاء والبدر من الظلماء، وكان كما قال بعض معاصريه: أُدخل الكبير فخرج ذهبا أحمر، ولم يزل بعد ذلك اليوم فى صعود واعتلاء، حتى تواضعت القلوب على حبه وأصبح حبه شعار أهل السنة وأهل الصلاح، حتى نقل عن أحد معاصريه أنه قال: إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم انه صاحب سنة، وقال على بن المدنى أحد أئمة الحديث فى عصره، وأحد شيوخ البخارى: إن الله أعز هذا الدين بأبى بكر الصديق يوم الردة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة.

مرضه ووفاته

قال المروزى: مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول، ومرض تسعة أيام، وكان ربما أذن للناس فيدخلوا عليه أفواجا، يسلمون عليه ويرد عليهم بيده، وكان يصلى قاعدا، ويصلى وهو مضطجع، لا يكاد يفتر، ويرفع يديه فى إيماء الركوع وأدخلت الطست تحته، فرأيت بوله دما عبيطا ليس فيه بول، فقلت للطبيب، فقال: هذا الرجل قد فتت الحزن والغم جوفه، واشتدت علته يوم الخميس، ووضأته فقال: خلل الأصابع، فلما كانت ليلة الجمعة ثقل، وقبض صدر النهار فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء، حتى كأن الدنيا قد ارتجت وامتلأت السكك والشوارع.

قال المروزى: أخرجت الجنازة بعد منصرف الناس من الجمعة، فإذا هو نحو من ألف ألف، وفتح الناس أبواب المنازل فى الشوارع والدروب ينادون من أراد الوضوء، وبهذا الاحتشاد العظيم فى جنازته تحقق ما أنبأ به بقوله: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم الجنائز، وكانت وفاته سنة ٢٤١هـ رحمه الله تعالى.

استمع للإمام أحمد كثيرون، منهم من روى الحديث عنه ومنهم من اشتهر برواية الفقه، ونخص بالذكر منهم من كان له الفضل فى نشر علمه رضى الله عنه وأشهرهم فهم:

صالح بن أحمد بن حنبل: وقد عنى بنقل أبيه ومسائله، وعبد الله بن أحمد بن حنبل: واتجهت عنايته إلى رواية حديث أبيه وروى المسند وتممه، وقد قال فيه أبوه: ابنى عبد لله محفوظ من علم الحديث لا يكاد يذاكرنى إلا بما لا أحفظ، وأحمد بن محمد بن هانئ أبو بكر الأثرم: روى عن الإمام أحمد مسائل فى الفقه وروى عنه أحاديث كثيرة، وعبد الملك بن الحميد بن مهران الميمونى: وقد صحب الإمام أحمد أكثر من عشرين سنة ونقل عنه الكثير، وما يتميز به أنه كان يكتب عن أحمد رضى الله عنه، فهو على هذا من أصحاب الإمام أحمد الذين نقلوا فقهه إلى الأجيال الذين كان لروايتهم مكان من الاعتبار، وأحمد بن محمد الحجاج أبو بكر المروزى: كان أخص أصحاب الإمام أحمد وأقربهم إليه، وأدناهم منه، وروى عنه كتاب الورع كما روى عنه فقها كثيرا، وإبراهيم بن إسحاق الحربى: وهو من نقل فقه الإمام أحمد أيضا وقد وصفه ابن أبى يعلى بقوله: كان إماما فى العلم، رأسا فى الزهد، عارفا بالفقه، بصيرا بالأحكام، حافظا للحديث، فهؤلاء هم العلية من أصحاب الإمام أحمد رضى الله عنه الذين نقلوا فقهه، ثم حصلت الرواية عن الإمام أحمد فى طبقة أخرى منهم: أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلال ويعد جامع الفقه الحنبلى وناقله ومن أكبر علماء المذهب وصنف مذهب الإمام أحمد فى كتابه (الجامع) الذى يقع فى نحو عشرين مجلدا، وهناك اثنان لهما الفضل فى تلخيص ما جمعه الخلال، والزيادة عليه فى القليل النادر وهما: عمر بن الحسين أبو القاسم الخرقى وله كتاب (المختصر) وهو أشهر كتاب فى الفقه الحنبلى ويعتبر أصلا محترما فى أصول هذا الفقه، لذا توافر عليه العلماء فى الشرح والتعليق، ولعل أعظم شروحه وأوفاها شرح (المغنى) لموفق الدين المقدسى، عبد العزيز بن جعفر المعروف بغلام الخلال: ويعد أشد تلاميذ الخلال لاتباعه له ونقلا عنه إلا أن فقهه لم يكن مقصورا على النقل الحنبلى، بل وازن بين الفقه الحنبلى والفقه الشافعى، وسجل ذلك فى كتاب سماه (خلاف الشافعى) وهكذا نرى أن المحنة صنعت رجالا ما زال نبراسهم يبرق وأشجارهم تثمر وتورق.

التوبة

عفا الله عمن قارف الذنب جاهلا — فلما استبان النور عاد بتوبة

التوبة واجبة من كل ذنب فإذا كانت المعصية بين العبد وبين ربه ولا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط وهى الإقلاع والندم والعزم مع عدم العودة، وإن كانت تتعلق بحق آدمى وجب عليه أيضا أن يبرأ من حق صاحبها، وحيث أن ابن آدم لا يعلم موعد لقاء ربه فعليه بالإسراع بالتوبة وعدم تأخيرها، ويقول صاحب الرسالة القشيرية: للتوبة أسباباً وترتيبا وأقساما فأول ذلك انتباه القلب من رقدة الغفلة، ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة ويصل إلى هذه الجملة بالتوفيق للإصغاء إلى ما يخطر بباله من زواجر الحق سبحانه بسمع قلبه لأن واعظ الله فى قلب كل امرئ مسلم، فإذا تحرك قلبه لسوء ما يصنعه وأبصر ما هو عليه من قبيح الأفعال سنحت فى قلبه إرادة التوبة والإقلاع عن قبيح المعاملة فيمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمة والأخذ فى جميل الرجعة والتأهب لأسباب التوبة، وأول ذلك هجر إخوان السوء لأنهم هم الذين يحملون على رد هذا القصد، وصحة هذا العزم، ولا يتم ذلك إلا بالمواظبة على المشاهدة التى تزيد رغبته فى التوبة، وتوفر دواعيه على إتمام ما عزم عليه مما يقوى خوفه ورجاءه، فعند ذلك تنحل من قلبه عقدة الإصرار على ما هو عليه من قبيح الأفعال، فيتوقف عن تعاطى المحظورات ويكبح لجام نفسه عن متابعة الشهوات، فيفارق الزلة فى الحال، ويبرم العزيمة على أن لا يعود إلى مثلها فى المستقبل، فإن مضى على موجب قصده، ونفذ بمقتضى عزمه فهو الموفق صدقا، وإن نقض التوبة مرة أو مرات -ومثل هذا أيضا كثيرا- فلا ينبغى قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء، فإن لكل أجل كتابا.

ويقول سيدى أبا على الدقاق رضى الله عنه: التوبة على ثلاثة أقسام أولها التوبة وأوسطها الإنابة وأخرها الأوبة، فكل من تاب لخوف العقوبة فهو صاحب توبة، ومن تاب طمعا فى الثواب فهو صاحب إنابة، ومن تاب مراعاة للأمر لا لرغبة فى الثواب أو رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة.

ويقال أيضا: التوبة صفة المؤمنين لقوله تعالى فى سورة النور ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون﴾ والإنابة صفة الأولياء المقربين لقوله تعالى فى سورة ق ﴿من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب﴾ والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين لقوله تعالى فى سورة ص ﴿نعم العبد إنه أواب﴾.

وقد سئل سيدى ذا النون المصرى رضى الله عنه عن التوبة فقال: توبة العوام من الذنب وتوبة الخواص من الغفلة، وقال أيضا: الاستغفار من غير إقلاع هو توبة الكاذبين.

وقال سيدى عبد الله التميمى رضى الله عنه: شتان ما بين تائب يتوب من الزلات وتائب يتوب من الغفلات وتائب يتوب من رؤية الحسنات.

وقال سيدى الواسطى رضى الله عنه: التوبة النصوح لا تبقى على صاحبها أثر من المعصية سرا ولا جهرا.

وقال سيدى ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه: التوبة توبتان: توبة الإنابة وتوبة الاستيحاء، فتوبة الإنابة أن يتوب العبد خوفا من عقوبته، وتوبة الاستيحاء أن يتوب حياء من كرمه.

وسئل سيدنا أبو حفص رضى الله عنه عن التوبة فقال: ليس للعبد فى التوبة شئ لأن التوبة إليه لا منه.

وقيل أوحى الله سبحانه إلى سيدنا آدم عليه السلام: يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة، من دعانى منهم لبيته كتلبيتك، يا آدم أحشر التائبين من القبور مستبشرين بى ضاحكين ودعاؤهم مستجاب.

وقال رجل للسيدة رابعة العدوية رضى الله عنها: إنى قد أكثرت من الذنوب والمعاصى، فلو تبت هل يتوب الله علىّ؟ فقالت: لا، بل لو تاب عليك لتبت، وهذا لقوله تعالى فى سورة التوبة ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾ ومن قارف الزلة فهو من خطئه على يقين، فإذا تاب فإنه من القبول على شك، لاسيما إذا كان من شرطه وحقه أن يكون مستحقا لمحية الحق، فالواجب على العبد إذا علم أنه ارتكب ما تجب منه التوبة دوام الانكسار وملازمة التنصل والاستغفار، كما قالوا: استشعار الوجل إلى الأجل، وكان من سننه صلى الله عليه وسلم دوام الاستغفار، وقال صلى الله عليه وسلم (إنه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة) ويقول يحيى بن معاذ: زله واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها، وقد قيل عن التوبة أن تتوب من كل شئ سوى الله عز وجل، ويقول الإمام فخر الدين رضى الله عنه:

الخوف من عتب الحبيب ولات خوفا من ردى

فيا محب هل تستطيع أن تتحمل معاتبة الحبيب.

إبراهيم عبد المجيد

ركن المرأة

الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر

تبارك وتعالى وضح الجهاد فى سبيل الله فقال ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ الأصل فى الجهاد إرهاب عدو الله لإعلاء كلمة الله، فإذا توافر هذا الشرط يكون الجهاد صادق، وحينما نزل قوله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ على النبى صلى الله عليه وسلم اهتز بشدة، فسأله الصحابة: ماذا فى الأمر يا رسول الله؟ فتلى عليهم الآية، وقال صلى الله عليه وسلم (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال: جهاد النفس) فالنبى صلى الله عليه وسلم أقام الجهاد فى سبيل الله جهاد أصغر، وجهاد النفس جهاد أكبر، فيكون الجهاد الأصغر نموذج للجهاد الأكبر، ولكى نعى الجهاد الأكبر جيدا يجب عمل مقارنة بينهما:

الجهاد الأصغر: شرط الجهاد الأصغر وجود خليفة للمسلمين لتجهيز الجيش، والجيش مجموعة فرسان ولكل فارس جواد ولابد له من سيف ودرع، وشرط الجهاد إعلاء كلمة الله وليس لمنصب أو مال أو جاه أو أى شئ بخلاف (إعلاء كلمة الله) ولذلك يطلق عليه (جهاد فى سبيل الله) هذا هو الجهاد الأصغر. أما الجهاد الأكبر الذى هو جهاد النفس: ففى الجهاد الأصغر قائد لتجهيز الجيش وفى الجهاد الأكبر القائد هو (الشيخ الولى) الذى يرشد المريدين إلى طريق السلوك إلى الله، لقوله تعالى ﴿ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ ويقول أحد الصالحين:

لابد من شيخ يعرف المسالك
يقيه فى طريقه المهالك

ومقابل الجواد (الهمة) لقوله صلى الله عليه وسلم (علو الهمة من الإيمان) ومقابل الدرع (التحصين) ومقابل السيف (الاسم الله) لقتال من؟ لقتال النفس والشيطان والهوى، ويقول جل شأنه ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ فهل سبحانه مغلوب لكى ننصره؟ ولكن الوضع الإلهى أن الذى أتى من عند الله هو صاحب الحاجة إلى النصر، فما هو الذى أتى من عند الله؟ فكان كما قال تعالى ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى﴾ فكانت الروح هى التى أتت من أمر الله ومفتقرة للنصر، فكيف ننصرها؟ ننصرها بالذى يمثل السيف، القاطع لعوائق الطريق.. ألا وهو الاسم (الله) بكثرة ذكره، وكما كان الأمر الأول لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فرض الشرائع ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾ فكان سيف (الاسم الله) هو المستعان به على قطع عوائق وعلائق الطريق، لذلك قال سبحانه ﴿إن تنصروا الله﴾ على هذا الوضع ﴿ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ فهذه هى الحرب الذى يريدها لنا الحق سبحانه.

هدى عبد الماجد

كان ياما كان يا سادة يا كرام ولا يحلى الكلام إلا بذكر النبى عليه الصلاة والسلام، وتمر على سماح ودنه، والمكتوب مفيش منه مهروب، ولكن ربنا لما فرق العقول كل واحد عجبه عقله، ولما فرق الأرزاق ولا واحد عجبه رزقه، إلا أخنوخ شال زاده وزواده فى كتفه، وبلاد تشيله وبلاد تحطه، لكنه صابر وعلى حمله قادر، وفى الهواجر نومه وصحوه، وعلى الوصف إللى وصفه جده شيث خطط أول خريطه عرفها الوجود مع اتجاه الشمس وهى طالعة تكون فى كنوفه وهى نازله تكون بين كتوفه، يسلك طريقه بين السهول والجبال ويجنب سبيله البحار على اليمين وعلى الشمال، وبنور البصيرة مع البصر وصل لغايته وعلى الصعاب انتصر، وصل لكهف العلوم وأخرج الألواح كل لوح يذاكره فى يوم.

بدأ بألواح اللفات ١٢٤ ألف لغة منها الحروف والأصوات ودرس الحرف والصوت والكلمات وعرف اللى منها راح يشتهر وربطها بمنازل القمر، والطواع النورانية والنوازل الظلمانية، وعرف تقاسيم العلوم وربطها بمنازل القوم، وباقى الحيوانات، كمان يأجوج ومأجوج والصخر والجمادات، ومجمل القول يا ابن العم يكون الاسم منه الرسم عليه الوسم وبيه الفهم، يعنى المعانى فى الأوانى زى الشراب فى الدنانى والحمامات فى البنانى .

ونقلب اللوح المرقوم للوح المعلوم اللى كان منه أم العلوم، وهيت لك علم الفلك اللى من غيره ما مالك ملك ولا سالك سلك، ظهرت منه الأنوار واتقدرت الأرزاق والأسرار و ...

زحل شرى مريخه من شمسه
فتزاهرت لعطارد الأقمار

ومرة يسميهم الخنس، أو يقول عليهم الجوارى الكنس، وهم ساكنين فى السموات، أولهم القمر فى سقف السما الأولى، على بعد ألف من السنوات، وإن قالوا طلعنا القمر نقول له مين فتح لكم البوابات وليه ماطلعتوا مرة ثانية يا بهوات، واللا انتوا فاكرين إنكم خوجات وكل الناس أفوات، وإن قالوا لقينا كمان كوكب وسميناه بلوتو قول لهم ده تأثير الغايات، ومن الجمال والجلال كان الكمال اصطلم وتمت بيه جوامع الكلم، وبعد الكلام يكون القول عشان للفهم يكون مدلول، فالكلام لغة الأفهام والقلوب اللى ما فيها ظلام يتنقل من قلب لقلب، وبالعين والطرف لأن الكلام ماله صوت ولا حرف ولا نحو ولا صرف.

أما اللسان يكون للبيان ومنه يكون القول عشان العقول، ويكون من الحروف كلمات ومن الكلمات جمل والفرق فى الفهم زى الحمار والجمل، وبصريح العبارة الكلام ليك يا جاره، فيه واحد يفهم بالإشارة والتانى ما تكفيه العبارة، واستخدام الحرف فى القول ليه أصول، ففى الكلام يكون الحرف تام أما القول يكون راس الحرف ليه مدلول وجسم الحرف ليه مفعول وذيل الحرف ملوش مدخول إلا فى حالة النزول والتسفل والحلول وربنا ينجى من الغول وأم الصبيان وأم سحلول، فحرف الألف فى الكلام ما يختلف ولكن فى القول يكون (أا) وتخفى جسمه (ل) وديله (ف) أما اللفات هى اللى نزلت بها الكتب المقدسة من السموات وأما كلام الخواجات ده يسموه لهجات وباقى اللفات هو تخاطب باقى الكائنات من الجن والوحش والطير والحشرات ومعاهم السمك والريح وباقى الحيوانات، كمان يأجوج ومأجوج زى القناديل، وكمان لو عدى الشيطان تكون له النجمة أم ديل، أما الكواكب كل واحد على فلكه راكب زى القطار العتيد على السكة الحديد، وله ملك شديد يحركه من القريب والبعيد، وبحركة الأفلاك كان الزمان وقبلها كان العرش أول مكان، يعنى الآن ليس فى الإمكان أبدع مما كان، وده يعنى إمكان المكان، أو أمكنة الأماكن لكل متحرك وساكن، مش معناه تحديد قدرة الله يا خلق الله ولكن لما قال كن قال له لشئ كائن.

ولكن صدور الأمر بكن كان لتحريك الساكن فى الأماكن بالقدر الماكن، ولما اتحركت الكواكب بالأسرار تحركت للخلائق الأرزاق والأقدار، وكل واحد يوم ميلاده وساعته يكون من كوكبه حظه ونعته، وإن قلت ده تنجيم نقول هو فيه غيره خلق النجوم، فخلق الله ينظمه خلق الله بقدرة الله، وجعلنا لكل شئ سببا يا عباد الله، وكل كوكب من الكواكب له جزء من سطح الأرض، له يتابع ويواكب، يعنى الفرنسيس اللى عايشين فى باريس يحكمهم كوكب الزهرة وروحانيته روحانية جمال وفن وشعر، يكون من عندهم الموضة والروايح النادرة، وعلى العكس منه زحل حاكم من الأقصر وترتحل للجنوب معاه فول وسمسم من الحبوب، وتجيهم الريح هبوب، وسمار لون والأنوف جيوب، وكل الأفلاك منوره من نور الاسم فى الرفرف الأعلى مدوره، وكل الصناعات متصوره فى السما التانية متحيرة، وفوق الأفلاك السبعه فيه فلك كبير اسمه فلك البروج يسيطر على الطبايع ولو علوج.

فمثلا الأترك يطابع برج الأسد تلاقى الواحد منهم طويل عريض تقولش سد، وطبعه شديد وحامى تقول رصد، وكده باقى الأنام وكذلك الأنعام والطير والهوام يرعاهم اللى لا بيغفل ولا ينام، ولسه إدريس قاعد يذاكر، صبحه فكر وليله ذكر، فالعلم تاخده من الذاكرين والجهل تاخده من الغافلين والعلما علما لما يكونوا عاملين بالعلم اللى ذاكروه وعن مشايخهم أخذوه، وإن كان العلم بدون عمل يكون خيبة أمل راكبه جمل، وتتكرر تانى العبارة «حمارا يحمل أسفارا» ويا ألف خسارة على اللى نايم ليله يشخر ويفوق الصباح فى تياب العلما يتبختر ... وكان ياما كان.

ركن الطفل

يتيم بغداد

موكب لسيارات يتحرك قبيل صلاة العصر من بغداد إلى قرية الأسود الصغير التابعة لقضاء الخالص قرب بغداد لزيارة عائلة خضير، ومولانا الشيخ إبراهيم رضى الله عنه يركب سيارة الضابط بس أحد أفراد عائلة خضير وهو من أوائل مريدى الشيخ وقد قام بدعوة الشيخ لزيارته فى منزل العائلة التى مازالت تتمسك بالعادات العربية الأصيلة من العيش سويا لكل أفراد الأسرة التى تتكون من عدد كبير من الأبناء وزوجاتهم وأبنائهم -ما شاء الله- ووصل الموكب إلى بوابة المنزل ذو الساحة الفسيحة والغرف المتعددة لاستقبال الضيوف وخرج الجد والأبناء والأحفاد لاستقبال الشيخ الذى سلم سريعا على الجمع ثم اتجه إلى طفل لا يتعدى الثالثة من عمره يتكئ بين الجمع ويزاحم برأسه بين الأقدام والسيقان، والتقطه الشيخ فسلم عليه وقبل رأسه ومسح على رأسه بحنو بالغ ثم أخذه بيده وسار به ليكمل تحية الحاضرين ويسلم عليهم بيد والأخرى تمسك بالصبى أو يتمسكه بها الشيخ -لا ندرى- فقد أراد البعض أن يلتقط الصبى من يد الشيخ ولكن دون جدوى، وقد لاحظت دموع حضرة الضابط يس تنهل من عينيه فى فرح مشوب بحزن عميق، ولما استقر الجمع كل فى مكانه وذبحت الذبائح ابتهاجا بدخول الشيخ دارهم، تبادل الشيخ الحديث مع الجد والأبناء، وتم تقديم الطعام وبدأت القصائد والمديح، وانتهزت فرصة حديث جانبى مع حضرة الضابط يس وسألته عن سبب دموعه؟ فقال إن زيارة مولانا الشيخ إبراهيم لهم شرف كبير لا يعلوه شرف لكل أفراد الأسرة، ولكن فوق كل هذا عندما دخل الشيخ واهتم بذلك الصبى وقبله ومسح على رأسه كانت التفاتة جميلة، لأن هذا الصبى ابن أخى الذى فقدناه فى الحرب ولم ينجب أبوه غيره ولقد استشهد بعد زواجه بفترة وجيزة ويعتبر هذا الصبى اليتيم الوحيد فى البيت، فالشيخ لم يلتفت إلى علية القوم ولا إلى مظاهر الإستقبال الإلتفاتته للحفاوة بهذا اليتيم، فبالله عليك ألا يستحق هذا العطف دموع الفرح والإكبار.

من مذكرات فتى الوادى

اختبر معلوماتك

اختبر معلوماتك اختبر معلوماتك اختبر معلوماتك اختبر معلوماتك اختبر معلوماتك اختبر معلوماتك

الكلمات المتقاطعة

أفقي:
١- يرقد (معكوسة)- عاصمة بنجلاديش
٢- كتاب مشهور للأصفهاني (معكوسة)- ثلثا (ويل)
٣- لم ينضج- عاصمة ايطاليا (معكوسة)- كمين
٤- مخترع التليسكوب
٥- قوام- ضياء
٦- أسد- من الإشعاعات (معكوسة)
٧- حب- نهر بفرنسا (معكوسة)
٨- أحد الفراعنة
٩- عابر- للتعجب (معكوسة)- للتخيير
١٠- جنح- من الزهور (معكوسة

رأسي:
١- موقعة حربية شهيرة
٢- للاستفهام (معكوسة)- يستمر
٣- للاستفهام- وزن (معكوسة)- كامل
٤- تجدها في (أغادير)- أهوج (معكوسة)
٥- نرجو- للاستفهام
٦- يثني- كريم
٧- من الأخشاب- قبيلة عربية
٨- واشي
٩- للاستفهام- نصف (واحد)- حرف أبجدي
١٠- قبيلة عربية- أداة نسيج

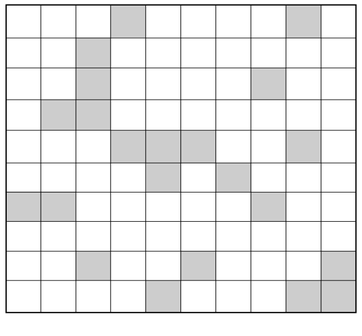

حل العدد السابق:

	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
1	ج	و	ت	ن	ب	ر	ج		ا	ب
2	ر		و	ا	و		و	د	ر	ل
3	أ	ي	ر		ر	و	ن		د	ا
4	هـ		ي	ل	م		ب	ي	ب	ل
5	أ	ل	ب	ر	ا	ز	ي	ل		ب
6	م	م		ي		ب	ر	ي	م	ن
7	ب	د		ا	ج	ا	د		د	ر
8	ل				د	د			ر	ب
9			ي	و	ر	ي		ن	ي	ا
10	ي	ا	م	ك	ي		د	ي	د	ح

وَالنَّبِيُّونَ فِي مَفَازَةِ عِزٍّ ... نَخْلُهُمْ بَاسِقٌ وَطَلْعٌ نَضِيدُ
لَيْسَ إِلَّا وِصَالُكُمْ نَبْتَغِيهِ ... جَمْعُكُمْ سَيِّدٌ وَجَمْعِي مَسُودُ
قُلْتَ يَاسَيِّدِي وَقَوْلُكَ هَدْيٌ ... وَبِهِ صَارَ كُلُّ هَادٍ يَهُودُ
عِتْرَتِي ذُخْرُكُمْ وَفِيهِمْ عَطَائِي ... وَإِذَا مَارُمُوا تُقَامُ الْحُدُودُ
لَامَ أَهْلَ الْغَرَامِ كُلُّ جَهُولٍ ... فَانْبَرَى جَاهِلٌ وَخَاضَ الْحَسُودُ
أَجْعَلُ الْقَوْلَ وَالْبَيَانَ يَسِيرًا ... كُلَّمَا غَلَّتِ الْعُقُولَ قُيُودُ
كُلَّمَا صُفِّدَتْ عُقُولٌ بِوَهْمٍ ... عَادَهُمْ عَادُهُمْ وَعَادَتْ ثَمُودُ
مَرَّةً بِالْكِنَى أُكَنِّي وَأُخْرَى ... بِالْعِبَارَاتِ عَنْ عُلُومِي أَذُودُ
يَاعَظِيمَ الْجَنَابِ إِنِّي فَقِيرٌ ... طَامِعٌ فِي الْقِرَى وَأَنْتُمْ تَجُودُ
يَاوَلِيِّي إِذَا الْجَمِيعُ تَوَلَّوْا ... إِنَّ فِي هَذِهِ يَتِمُّ الشُّهُودُ

من ديوان «شراب الوصل»

عبير التاريخ

الإسلام والسلام

يقول بعض الدعاة إلى الإسلام فى أيامنا هذه حينما يريدون الدفاع عن بعض الفئات الشاذة التى تنتهج أسلوب العنف والقتل باسم الإسلام أن الإسلام سلم لمن سالمه حرب على من حاربه وقاله لى أحدهم حينما تحدثنا عن ذبح أحد الأمريكان وقلت مشمئزا إن هذا الأمريكى ليس خروف وليس جندى بالجيش وهو صحفى لا يحمل سلاح وكل هذا يخرجه من عداد المحاربين حتى ولو تواجد فى أرض المعركة فالأمر النبوى للجيوش أن لا يقتلوا امرأة ولا طفلا ولا رجلا بغير سلاح وأن لا يهدموا بيتا أو يقطعوا شجرة مثمرة أو مظلة، فرد على بقوله ولكن الله أمرنا بقوله ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ أليس هذا أمر بالذبح؟ فقلت له إن أمثالك حينما يفسرون القرآن تكون الطامة الكبرى لأن الأمر فى هذه الآية موجه للملائكة الذين نزلوا فى غزوة بدر وهم لايعرفون القتال ولذلك علمهم الله كيف يحاربون المشركين الذين يحملون السلاح فى وجه المؤمنين، ولكن إذا أردت أسلوب الدعوة السليمة فارجع مع التاريخ بعبيره السمح حيث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ليدعو أهلها إلى الإسلام وليس بينهم رجل واحد رشيد ولم يأخذ معه أحدا من أصحابه خوفا من أن يتدخلوا بينه وبين من يدعوهم بإسلوب يتنافى مع رحمته ورأفته بالخلق، وأهل الطائف معروفون بغلظتهم وقسوة قلوبهم، وكان رد الفعل الذى توقعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جلس مع كبرائهم وعواقلهم وعرض عليهم الإسلام بالحسنى ولين القول فما وجد منهم قبول ولا رجولة حتى بالباطل الذين هم عليه فلم يواجهه أحدهم برد ولكن كانوا كالثعابين فى تلون ردودهم وانصرفوا من حول رسول الله واحدا تلو الآخر، وهموا إلى صبيانهم وسفهائهم ليغروهم بأذى النبى صلى الله عليه وسلم، وبالفعل قام الحبيب ليأخذ طريق العودة إلى مكة بأحزانها التى توالت عليه فى هذا العام فها هى السيدة الفاضلة خديجة بنت خويلد الأسدى أول من آمن به وأول من أحبه وأول من أنفقت مالا ووقتا فى الإسلام تتركه وحيدا، وها هو عمه الكريم الفاضل أبوطالب أول من آزر وساند وأيد وقال للنبى (والله لا أخزيك ولا أسلمك لهم أبدا) وبالرغم من الحزن على الفقد لم ينس الدعوة ولا المهمة التى أوكله الله بها، وفى هذا الخضم من المعتركات ذهب السفهاء بأحجارهم إلى قدم الحبيب فأدموها وجلس الحبيب يناجى حبيبه ويقول غير مبال بما أصابه (إن لم يك بك غضب على فلا أبالى لك العتبى حتى ترضى) أيظن السفهاء من الناس أن هذا ضعفا!! لا والله إنها القوة بعينها، فالقدرة على الصبر أقوى من الإنتصار للنفس طالما أن الأمر فى سبيل الدعوة إلى الله، أما الثأر للنفس واختطاف الناس وذبحهم لهو أسلوب الجبناء، وها هو الحبيب يأتيه ملك الجبال بإجابة سريعة من ربه ويقول مرنى يا حبيب الله أن أطبق الجبلين على هذه الحسالة الذين أدموا قدمك الشريف، فهل قال الحبيب أنتصر لنفسى؟ لا والله، بل قال أنتظر الأجيال القادمة من أصلابهم عل الخير يكون فيهم ويكن منهم من يشهد أن لا إله إلا الله، وهنا يظهر وجه برئ يحمل بين يديه بعض الفاكهة ويقدمها للحبيب وهو يقول يا صبوح الوجه كالنهار تقبل منى هديتى واعتذارى عن فعلة السفهاء معك، فتبسم الحبيب وتقبل هديته بقبول حسن وسأله من أى البلاد أنت؟ فقال الفتى من نينوى، فقال الحبيب: متهللا من بلد أخى يونس؟ فقال الفتى أتعرف يونس النبي؟ فقال الحبيب: نعم فهو أخى فى النبوة، فانكب الفتى على قدمى الحبيب يقبلها وهو يبكى ويغسل القدمين الشريفتين بدموعه معتذرا عما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منخرط فى البكاء، هكذا تكون الدعوة التى يلازمها الصبر وهذه سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم مع من جهلوه، فإن لم يكن بهم خير انتظر من خرج من أصلابهم.

وكذلك لما ذبح الأسرى بطريق الخطأ فى إحدى الفتوحات بقيادة سيدنا خالد بن الوليد وبلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع الحبيب يديه قائلا (اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد) هذه سنة الحبيب فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ونسأل الله السلامة.

محمد صفوت جعفر

مقام سيدي عبدالعزيز المكنى بأبي المجد - مصر